

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ecole normale supérieure
de Bou-saada



المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة
المجاهد الفريق أحمد قايد صالح
قسم اللغة العربية



محاضرات في الأدب العباسي

المقياس: الأدب العباسي.

المستوى: السنة الثانية (متوسط وثانوي).

الأستاذ: عبد العزيز نقبيل.

الرتبة: أستاذ محاضر صنف (أ) بالمدرسة العليا للأساتذة بوسعادة

السنة الجامعية: 1443هـ - 1444هـ / 2022 - 2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محاضرات في الأدب العباسي.

مفردات المادة:

المحاضرة الأولى:	مقدمات حول الحياة العامة في العصر العباسي.
المحاضرة الثانية:	الشعر في العصر العباسي.
المحاضرة الثالثة:	أثر الروافد الأجنبية على حركة الشعر العباسي.
المحاضرة الرابعة:	الشعر العباسي ومظاهر التجديد والإبداع.
المحاضرة الخامسة:	شعر مخضرمي الدولتين.
المحاضرة السادسة:	سمات المجتمع العباسي وأثرها على الشعر.
المحاضرة السابعة:	شعر الزهد وشعر التصوف في العصر العباسي.
المحاضرة الثامنة:	الشعر الفلسفي وشعر الحكمة.
المحاضرة التاسعة:	النثر في العصر العباسي
المحاضرة العاشرة:	مذاهب النثر في العصر العباسي.
المحاضرة الحادية عشرة:	من أعلام النثرين والكتاب في العصر العباسي.
المحاضرة الثانية عشرة:	فنّ المقامات في العصر العباسي.
المحاضرة الثالثة عشرة:	فنّ التوقيعات في الأدب العباسي.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

هذه محاضرات الأدب العباسي موجهة لطلبة المدرسة العليا للأساتذة السنة الثانية متوسط وثانوي. حاولنا بقدر الإمكان تبسيط تقديمها للطلبة حتى يسهل عليهم الاستيعاب، ومحاضرات الأدب العباسي غزيرة في مادتها، متشعبة في قضاياها، ومصطلح العباسي يبدأ من الناحية الزمنية سنة 132هـ 749م بسقوط الدولة الأموية في الشام، وقيام الدولة العباسية في العراق، وينتهي العصر العباسي في التاريخ السياسي بسقوط بغداد على يد هولاكو التتري في سنة 656هـ 1258م.

هذا العصر الذي عدّه الباحثون بأنه عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل، أثمرت فيه الفنون الإسلامية، وتألفت العربية، وزهت آدابها، ونُقلت العلوم الأجنبية، ونضج العقل العربي فوجد سبيلا إلى البحث والتفكير. وعليه فالإطار الزمني للمقياس يشمل فترة زمنية معتبرة شهدت كثير من الأحداث السياسية والتطورات الأدبية والفنية.

تناولت المحاضرات قسمين: قسم الشعر، وقسم النثر، ففي قسم الشعر تطرقت المحاضرات إلى الكثير من الموضوعات والقضايا الشعرية التي طبعت العصر العباسي، فتناولنا بداية أهم مظاهر الحياة العامة في العصر العباسي ليقف الطالب عند أهم المحطات البارزة حول الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للدولة العباسية.

ثم عالجت المحاضرات أهم القضايا الشعرية في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الأدب العربي كقضية أثر الروافد الأجنبية على الشعر العباسي، وقضية الخضرمة وبواكير التحول من الأموية إلى العباسية، كما تطرقت الدروس إلى أهم السمات التي كان لها الأثر الجلي في الشعر العباسي: كالمجتمع المتمدن الجديد، وظواهر الزندقة والشعبوية والمجون والخمريات وغيرها ومن الظواهر التي طبعت حياة هذا العصر، وتطرقت المحاضرات إلى

القصيدة العربية في العصر العباسي وركزت على أهم مظاهر التجديد التي صاحبته وأسهمت في بلورة القصيدة العباسية، وبعد ذلك تناول المقرر محاضرات حول ظواهر شعرية مختلفة كالتصوف، والزهد، وشعر الحكمة والفلسفة من خلال نماذج شعرية لشعراء مثل: ابن الفارض، ورابعة العدوية، وابن عربي، وأبي تمام، والمتنبي، وأبي العلاء المعري. وفي قسم النثر تناولت المطبوعة البيداغوجية مفهوم النثر في العصر العباسي ومذاهبه الفنية، وتطرق إلى بعض أعلام الكتابة وأساليبهم، كما تناولت بعض فنون النثر في هذا العصر كفن المقامات وفن التوقيعات.

وتحضيرا لهذه المحاضرات اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع المختلفة التي تنوعت بين القديمة والحديثة، تأكيدا على المعلومة وتوثيقا لها، وتمكينا للطلبة للتعرف على بعض الدراسات التي أنجزت حول موضوعات الأدب العباسي، واستقيت منها المعارف والمعلومات التي تفي بالغرض لمعالجة كل ما يتعلق بمحاورها التي تبحث في قضايا ونصوص الأدب العباسي، فكانت المعين لي في استخراج الكثير من النماذج والشواهد المختلفة خدمة لمعلومات المحاضرة، واعتمدت أيضا في ذلك على مصادر ومصنفات أدبية تاريخية. كما استأنست بمجموعة من الدواوين الشعرية التي تعد مصدرا للشعر العربي القديم، وجمعت كل ذلك في قائمة المصادر والمراجع.

ومن أهداف مفردات الأدب العباسي استهداف المخرجات الآتية:

- أن يتعرف الطالب على أبرز المظاهر السياسية والأدبية والثقافية في العصر العباسي.
- أن يعرف الطالب أهم الخصائص الفنية في الأدب العباسي.
- أن يميز الطالب بين أعلام الشعر والنثر في هذا العصر.
- أن يقف على أهم الاتجاهات والقضايا الموضوعية والفنية في الشعر العباسي.
- أن يقف على أهم المذاهب النثرية عند الكتاب العباسيين.
- أن يتمكن الطالب من قراءة نماذج من نصوص الأدب العباسي وتذوقها وتحليلها.

ولا يفوتني أن أذكر بعض الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذه المحاضرات وهي صعوبات تعترض أي باحث، نذكر منها مشكلة العثور على بعض المصادر والمراجع، وضيق الوقت في إنجاز المحاضرات وتقديمها للطلبة، فلا يمكن تقديم كل المحاور الكبيرة من الأدب العباسي الثرة التي لا يكفيها من الزمن هذه السويغات التي فرضها ضيق التكليف الزمني، مما يضطر الأستاذ إلى اختصار المعلومات أحيانا تماشيا مع سلطان الوقت المفروض بيداغوجيا.

وفي الختام أرجو أنني وفقت ولو بشكل يسير في إعداد هذه المحاضرات خدمة لطلبتنا، ولا يفوتني أن أقدم شكري إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد وبالله التوفيق.

المحاضرة الأولى: مقدمات حول الحياة العامة في العصر العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-تمهيد.
2-الدولة العباسية.
3-قيام الدولة العباسية.
4-من مظاهر الحياة السياسية في العصر العباسي.
5-من مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر العباسي.
6-الحياة الفكرية والأدبية.
7-خلاصة.

تمهيد:

يبدأ العصر العباسي من الناحية الزمنية سنة 132هـ 749م بسقوط الدولة الأموية في الشام، وقيام الدولة العباسية في العراق، وينتهي في التاريخ السياسي بسقوط بغداد على يد هولاكو التتري في سنة 656هـ 1258م⁽¹⁾. هذا العصر الذي عدّه الباحثون بأنه عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل، أثمرت فيه الفنون الإسلامية، وزهت الآداب العربية، ونُقلت العلوم الأجنبية، ونضج العقل العربي فوجد سبيلاً إلى البحث والتفكير. وينحدر ملوك هذه الدولة من نسل العباس عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذين انتزعوا الخلافة قسراً من الأمويين بمعونة الفرس، وأقاموا عرشها بالعراق، وتبوأ منهم الخلافة سبعة وثلاثون خليفة في أكثر من خمسة قرون حتى نلّ عرشهم هولاكو سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة⁽²⁾.

1-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص33.

2-المرجع نفسه، ص33، 34.

تختلف هذه الدولة عن الدولة الأموية بأحوال سياسة وعمرانية كان لها الأثر الظاهر في الأدب واللغة، فالدولة الأموية كانت عربية خالصة تعصبت للعرب ولغتهم وآدابهم، وجعلت قاعدتها دمشق على حدود باديتهم، وكان جنودها وقوادها وكتّابها وسائر عمالها من العرب. أما الدولة العباسية فقد اصطبغت بصبغة فارسية؛ لأن الفرس أيدوا الدعوة إليها حتى قيامها وأسهموا في تأسيسها، واتخذت عاصمتها بغداد بالعراق أقرب الأمصار إلى بلادهم، وأطلق الخلفاء أيدي الموالي في سياسة الدولة فاستقلوا بشؤونها واستبدوا بأمورها، فضعفت العصبية العربية، وعلا صوت الشعوبية، ونتج عن ذلك دخول العناصر الفارسية والتركية والسريانية والرومية في تكوين الدولة، فصارت الدولة للأتراك بعد أن كانت للفرس، ثم صارت للفرس على يد البويهيين، ثم للأتراك على يد السلجوقيين⁽¹⁾.

الدولة العباسية:

قبل أن يتمّ التطرق إلى موضوع الحياة السياسية في العصر العباسي لا بدّ من المرور بالحديث عن الدولة العباسية بشكل وجيز، حيثُ تعدّ الدولة العباسية ثالث خلافة إسلامية في تاريخ الإسلام كله بعد الخلافة الراشدة والخلافة الأموية، وثاني سلالة عربية حكمت المسلمين، ويعود نسب الخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- وهو أصغر أعمام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتعدّ من أطول السلالات التي حكمت العالم الإسلامي عبر التاريخ. فالعباسيون من نسل العباس عم الرسول مثلما كان العلويون من نسل أبي طالب عم الرسول أيضاً، اجتمعوا على مبايعة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المشهور بأبي العباس السفاح، هذا الذي يعدّ الخليفة الأول لدولة بني العباس الذي تتبّع بني أمية وأنصارهم بكل ألوان القتل والتشريد حتى خلص الأمر للعباسيين. اتخذ أبو العباس السفاح الكوفة عاصمة له، ثم هجرها لأنها

1- ينظر: محمود مصطفى: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي في العصر العباسي، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، مصر، ط2، ج2، ص9.

كانت مركزا للعلويين وأنصارهم، ثم اتخذ الأنبار عاصمة جديدة له، حكم السفاح أربع سنوات حتى توفي سنة 136هـ فخلفه أخوه أبو جعفر المنصور، وكان أكبر منه سنًا وتأخر عن السفاح لأن أمه كانت أمةً وأمّ السفاح حرة. بنى المنصور بغداد سنة 145هـ وجعلها عاصمة للدولة العباسية بعيدة عن الشام لكنها قريبة من فارس⁽¹⁾.

قيام الدولة العباسية:

بعد وفاة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك كانت الدولة الأموية قد بلغت مبلغًا كبيرًا من الضعف لم يسمح لها بالحفاظ على الحكم بعد ذلك، فقد تولى الخلافة أربع خلفاء ضعاف لم يستطيعوا أن يعيدوا الاستقرار للدولة الأموية، وفي ذلك الوقت ظهرت الكثير من الثورات التي كانت تضم الكثير من المناوئين لبني أمية ومن الموالي الذين اضطهدهم الأمويون وحرموهم من المساواة بالعرب في الحقوق، واعتمدت الثورة العباسية على نقمة الفرس والشيعه والعلويين عموما، واستغلت الدعوة لآل البيت، حيث بدأت الدعوة العباسية على يد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو نفسه والد أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور⁽²⁾.

وتابع الدعوة بعده ولده إبراهيم الإمام الذي اعتُقل من قبل رجال مروان بن محمد آخر خليفة أموي ومات في السجن، فتولى الدعوة أخوه أبو العباس السفاح وبدأ يحرض الناس في المناطق البعيدة، وأرسل أبا مسلم الخراساني إلى خراسان ليعلن عن قيام الدولة العباسية بعد القضاء على الوالي الأموي هناك، وبعد أن سيطر على خراسان انتقل إلى

1-المرجع السابق ، ص35، 36.

2-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر ط16، 2004، ص12، 11، 13.

العراق وخاض معركة ضد الأمويين، وهزم الجيش الأموي وطارد فلول الأمويين عن آخرهم، وسيطر على الشام ومصر، وأعلن عن قيام الدولة العباسية عام 132هـ⁽¹⁾.

من مظاهر الحياة السياسية في العصر العباسي:

بعد أن تمَّ التعرف على الدولة العباسية بإيجاز سيُشار إلى الحياة السياسية في العصر العباسي، فقد تميَّز كل عصر من العصور وكل حكم بخصائص مختلفة عن غيره، وكان لا بدَّ من هذا التمايز نظرًا لتغير مقومات الحياة جميعها من جهة، ومن جهة أخرى بسبب رغبة أي نظام حكم جديد بفرض هيمنته بإلغاء معظم أعمال الحكم الذي سبقه. وقد تميَّزت الحياة السياسية في العصر العباسي بغلبة الطابع الفارسي على الطابع العربي؛ نظرًا لاعتماد العباسيين على الفرس في قيام دولتهم، على عكس الأمويين الذين طبعوا الدولة بالطابع العربي، أمَّا العباسيون فقد أخذوا عن الفرس تنظيم الوزارات وطريقة نظام الحكم وتجاوزوا ذلك إلى حدِّ تقليدهم في كثير من العادات، وعندما بُنيت مدينة بغداد جعلوها عاصمة الدولة وطبعوها بطابع فارسيٍّ أيضًا⁽²⁾.

تميزت الدولة في العصر العباسي الأول (132-334هـ) بقوة الدولة وتوطدت أركانها على يدي أبي جعفر المنصور واتسع نفوذها أيام المهدي وعظمت هيبتها أيام الرشيد والمأمون، وتوالت الانتصارات في عهد المعتصم إلى عهدي الواثق والمتوكل، وفي ظل هؤلاء الخلفاء غلب العنصر الفارسي مع بقاء الكلمة الأولى للخليفة العباسي، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور يقول: "يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا، ويقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين " دولة بني العباس أعجمية خرسانية ودولة بني مروان

1-بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2014 ص ص17، 16. وينظر: الذهبي محمد بن عبد الله: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط7، 1990، ج6، ص160.

2-ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول، ص15.

عربية أعرابية⁽¹⁾ وربما أوجس الخليفة خيفة من معاونيه فيبطش بهم مثلما فعل السفاح بأبي مسلم الخراساني والرشيد بالبرامكة والمأمون بالفضل بن سهل، وظل منصب الوزارة وقفا على الفرس، فجعلوا قصور الخلفاء أشبه بقصور الأكاسرة، ونظموا الدواوين ووضعا أساليب الحرب ونظم الحكم⁽²⁾.

ولئن امتاز عصر المعتصم بالقوة فقد جاء من بعده من الخلفاء ولاسيما المتوكل والمنتصر والمستعين بالله والمعتز فامتازوا بالضعف وبدأ في عهدهم نفوذ الأتراك يتزايد، وقد كَوّن منهم المعتصم قوة عسكرية فاقت السبعين ألفا حتى ضاقت بهم بغداد، وعرفت بينهم وبين الفرس صراعات، مما اضطر المعتصم وإلى بناء مدينة سامراء على شاطئ دجلة وجعلها حاضرة ملكه عام 221هـ⁽³⁾.

أمّا في العصر العباسي الثاني (334-656هـ) فقد ازداد خطر النفوذ التركي، واتسم بضعف الخلفاء، الشيء الذي أدى إلى استقلال البويهيين وتمكنوا من بغداد عام 334هـ وبدأ التفكك يسري في أوصال الدولة، وظهرت الكثير من الدويلات في الظهور كالدولة الإخشيدية بمصر والشام (323-358هـ) والدولة الحمدانية بحلب (317-394هـ) واستقل الفاطميون بالمغرب والأمويون بالأندلس.

وعادت الفتن إلى الظهور مرة أخرى في هذه المرحلة كثورة القرامطة في البحرين. وتمكن السلاجقة الأتراك من القضاء على البويهيين عام 447هـ، وبعدها قامت دويلات أخرى كالأيوبية في مصر والشام، والغورية والأتابكة، والأذربيجانية وغيرها، وفي أواخر هذه الدويلات عرفت الخلافة فتورا ووهنا انتهى بزحف التتار على بغداد بقيادة هولاكو وتم الاستيلاء عليها⁽⁴⁾.

1- أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 1997، ج1، ص53.

2- ينظر: مارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص142.

3- ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول، ص18.

4- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، ص34.

من مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر العباسي:

إن البنية العامة لحياة العرب الاجتماعية لم تتقلب فجأة وإنما بدأ يظهر فيها التحول تدريجياً منذ خرجت جيوش الفاتحين إلى أقطار العالم شرقاً وغرباً، ومنذ أن أخذ الإسلام ينتشر ويسود بين غير العرب، ومنذ شرع البدو يتخلون عن البادية وينزلون الحواضر، وشغف الفاتحون العرب بالجنس الآري، فتزوجوا الفارسيات والتركيات والروميات، إلا أن هذا التحول بلغ مع قيام الدولة العباسية مبلغاً ملفتاً. ولما فتح العرب العراق وإيران والشام ومصر، ورثوا الحضارات الساسانية والكلدانية والآرامية ورومية ومصرية.

وأخذوا يكوّنون من ذلك ومن تراثهم العربي الخالص حضارتهم، فكان من الطبيعي أن تغلب على الأمويين بدمشق الحضارة الرومية، وما كان بالشام من عناصر حضارية، حتى إذا نقل العباسيون حاضرة خلافتهم إلى العراق غلبت عليهم الحضارة الساسانية، وما كان من عناصر كلدانية وآرامية، وهي تبدو واضحة في بناء بغداد التي أقامها المنصور مستديرة مثل طيسنيون المعروفة بقصر المدائن، وابتنى فيها قصره المعروف بقصر الذهب على طراز قصورهم ذات الأولوين الفخمة⁽¹⁾. وشغف الخلفاء بالجواري، فكان قد شغف الرشيد بالعربيات، وشغف المأمون بالمسيحيات، وشغف المعتصم بالجواري التركيات التي اضطر أخيراً إلى نقل مركز الخلافة إلى مدينة سامراء ليجنب أهالي بغداد شرهم وأذاهم⁽²⁾. وأنشأ الرشيد على نهر دجلة قصراً تأتق في تجميله حتى أنشد فيه أحد الشعراء قائلاً:

قصر عليه تحية وسلام
نثرت عليه جمالها الأيام

قصر سقوف المزن دون سقوفه
فيه لأعلام الهدى أعلام

وأصبحت القصور في عصر بني العباس الأول محلاة بالرسوم الزخارف⁽³⁾.

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 44، 45.

2- رضا العطار: مقتطفات من الحياة الأدبية والاجتماعية في العصر العباسي، مصر، ط 8، 1981، ج 1، ص 189.

3- البغدادي أبوبكر أحمد بن الطيب: تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ج 1 ص 75.

هذا الاحتكاك الذي زاد بين العرب وغيرهم من الأمم أدى إلى اقتباسهم أمورا كثيرة من أوجه الحضارة المادية خاصة، ومن أساليب التفكير، ثم إن الموالى (المسلمين من غير العرب) احتفظوا بكثير من أساليب تفكيرهم، وغلبت التقاليد الاجتماعية الفارسية على الأزياء، فانتشرت القلنسوة الطويلة وضروب الأزياء الفارسية، واتخذ القضاة القلانس العظام، واتخذ الخلفاء العمائم على القنادس وتفننوا في العمامة ونوعوها تبعا للطبقات كما يفعل الفرس، فللخلفاء عمامة، وللفقهاء عمامة، وللأدباء عمامة، ولكل مدينة زي معين.

وكان الشعراء يلبسون الوشي والمقطفات والأردية السود، وتمثلت التقاليد كذلك في الاحتفال بالأعياد كالنوروز والمهرجان، كما تأثروا في منازلهم بالأساليب الفارسية واقتدوا بالفرس في كثير من المظاهر⁽¹⁾ وكان من أبعد الأسباب أثرا في تحول المجتمع الزواج بغير العربيات، الشيء الذي أكسب عادات جديدة في المطعم والملبس والآداب والسلوك، وفي نشوء جيل له عمومة عربية وخؤولة فارسية أو رومية أو تركية، وعندما كان العرب الأولون خلصا لا يرون للأمم على العرب فضلا في شيء، اهتم العباسيون بالعنصر الفارسي كثيرا خاصة في بداية تكوين دولتهم، وقد قويت شوكة الفرس في عهد الخليفة المأمون أصبح الجيل المولّد يتعصب أيضا لخؤولته ويرى أن العرب ليسوا أفضل من سواهم في كل شيء، هذا الجدل وهذه التسوية بين العرب وغيرهم هي التي عزاها البعض إلى ظهور ظاهرة الشعوبية⁽²⁾.

كما ظهرت في البيئة العباسية طبقة أثرت في حياة المحدثين تأثيرا عميقا ونعني بها طبقة الجوّاري التي أصبحت ظاهرة في المجتمع العباسي ولها تأثير كبير، حتى أن الناس رغبوا في الزواج بالجوّاري وأنجبوا الأولاد، وكثيرا ما كان أبناء الجوّاري أشهر وأقدر من

1- محمد زغلول: دراسات في الأدب العربي العصر العباسي، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، دط، 1993، ص 14.

2- ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 10، ص 283.

أبناء الحرائر⁽¹⁾ ونعدّ من هؤلاء المنصور أمه حبشية، والرشيد أمه الخيزران رومية، والمأمون أمه مراجل فارسية والمعتصم أمه ماردة تركية، وكانت أم الواثق رومية تسمى قراطيس⁽²⁾. وشكل الأتراك رقما مهما في تركيبة المجتمع العباسي خاصة عندما تولى المعتصم الخلافة الذي اعتمد على العنصر التركي، وأهمّل العنصر العربي والفارسي⁽³⁾.

ذاع المجون في هذا العصر، وتعاطي البعض المسكرات سرا وعلنا، ويظهر من قصص الدعابة والمجون في كتاب الأغاني، وألف ليلة وليلة، وفي كثير من الأشعار الخمرية كالتّي نظمها أبو نواس وابن المعتز وغيرهما... هذه الخمور التي شدد عليها الإسلام ومع ذلك فقد ثبت أنه كان يشربها من الخلفاء ولم يعبأ كثيرا بأوامر الدين⁽⁴⁾.

وكانت النساء حرائر وجواري يبالغن في زينتهن وأناقتهن فكن يرفلن في الثياب الحريرية ويختلن في الحلي والجواهر متخذات منها تيجانا وأقراطا وخلاخيل وعقودا وقلائد وقد ينظمنها على شعرهن أو على عصائبهن، يقال إن: دنانير جارية البرامكة كانت تتحلى بعقد من الجواهر بلغت قيمته ثلاثين ألف دينار كان قد أهداها إليها الرشيد⁽⁵⁾. واتخذت الجواري والنساء الحرير والحلي والجواهر تيجانا وأقراطا وخلاخيل وعقودا وقلائد، وأولعن بالزهور، وأنشئت لهن البساتين والرياض، وتغنى بها الشعراء جاعلين لأحوال الورد وألوانه دلالات على ألوان العاطفة والوصل والقطيعة.

الحياة الفكرية والأدبية:

كانت البلاد تعيش امتزاجا غير مشهود من الناحية الاجتماعية بين مختلف الأجناس والأعراق، وصراعا بين المذاهب والآراء بين العرب والعجم، وبين الزندقة

1-ينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، ص28، 29.

2-ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، ص37، 38.

3-حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط7، 1964، ج2، ص398.

4-النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة، دط، دت ج4، ص92.

5-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، ص37، 38.

والإيمان، وبين الفقر والغنى، وبين الجد واللهو، وكان لكل ذلك صداه في أدباء وشعراء ذلك العصر، نقل منها الجاحظ كثيرا من النماذج في كتبه. وظهرت بها تيارات متناقضة ودعوات سرية كثيرة منها من أظهرت الإسلام ومنها من أبطنته، وراحت تلصق به ما ليس فيه من خرافات، فكان أن تصدى لها العلماء لدحض أباطيلها وتمييز الصحيح من الأفكار من باطلها.

انتشر في هذه الفترة التدوين والتأليف ونقل المعارف والترجمة، وتعددت المذاهب المختلفة المرجعيات، وتعددت الاتجاهات الإسلامية، فكان السني والخارجي والشيعة، وظهرت فرق كثيرة منها: المعتزلة والقدرية والمرجئة، وكانت تقوم بينهم المناظرات لاسيما بين المعتزلة والسنة أثمرت بظهور أبي الحسن الأشعري الذي حاول التوفيق بين المنقول والمعقول وجمع أهل السنة على الرأي الصحيح. وشهدت الحواضر العباسية ثقافات الشعوب التي دخلت الإسلام، وراح الخلفاء يشجعون الحركة العلمية والأدبية ويبالغون في إكرام العلماء والأدباء وتقريبهم إليهم.

وأصبح العلم أداة للوصول إلى المناصب العالية والجاه والنفوذ، كما اهتموا بإنشاء دور ومراكز العلم في كل ربوع الدولة، وتمويل حركة الترجمة إلى العربية⁽¹⁾ وكانت الثقافة العربية هي الذائعة التي قوامها القرآن الكريم، واللغة العربية والأدب، كما عرف العصر الثقافة الفارسية نظرا لنفوذ العنصر الفارسي في الدولة، كما عرفت الثقافة اليونانية حضورا لافتا باختلاط العرب باليونان خاصة في الشام، وراح الخلفاء يشجعون ترجمة كتب الفلسفة والطب والنجوم، وتحمس في ذلك المنصور ثم الرشيد مؤسس بيت الحكمة التي نقلت إليها الكتب من كل البلاد المفتوحة، وتلاه المأمون الذي أوفد الرسل إلى الروم وجلب علومهم، وعين سهل بن هارون مشرفا على بيت الحكمة التي امتلأت بالكتب المهداة من ملك الروم وجزيرة قبرص، واتصلت أيضا الثقافة الهندية بالفكر العربي وتفاعلت هذه الثقافات وتناحرت

1- ابن قتيبة: أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص10.

في بغداد فكان لها الصدى الكبير بين العلماء والمفكرين والمتكلمين⁽¹⁾. ففي هذا العصر وضعت كل أسس العلوم تقريبا، وضع تفسير القرآن الكريم، وجمع الحديث وعلومه، ووضع علم النحو وألف سيبويه كتابه الخالد، ووضعت كتب اللغة والمعاجم وألف الخليل بن أحمد في اللغة والمعجم والعروض، ودونت أشعار العرب في المعلقة التي دونها حماد الراوية، والمفضليات الذي دونها المفضل الضبي، والأصمعيات التي دونها الأصمعي، ووضع الجاحظ أسس الكتابة الفنية فحذا حذوه ابن قتيبة والمبرد وغيرهما، وظهرت المدونات الفقهية والتاريخية⁽²⁾.

وتعددت الحواضر العلمية في هذا العصر، فنشطت الدراسات الدينية في مصر، وتفاوتت الشام في الشعر والأدب، وكان للعراق الصدارة في الفلسفة واللغة، وأصبحت بغداد والبصرة، والكوفة من أهم مراكز العلم والفكر، كما اشتهرت بلخ وأصفهان بالثقافة، فقد كان العصر حافلا بالعلوم والفلاسفة والمفكرين والشعراء والعلماء والكتاب، وصارت العلوم المترجمة شرطا في تكوين ثقافة الكاتب والأديب، ونبغ أعلام كثر في مختلف العلوم⁽³⁾.

خلاصة:

يعد العصر العباسي الذي زادت مدته على خمسة قرون، وجرت فيه الأحداث العظام أزهى عصور العرب قاطبة قامت فيه الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية وعظمت أمر الدين واعتزت بالموالي، فاعتمد العباسيون على الفرس في أول عهدهم ولما فسد أمرهم وبطروا نعمتهم تغيرت عليهم قلوب الخلفاء فنكب بهم الرشيد، ثم اعتمدوا على الأتراك واستعان بهم المعتصم وصار الاعتماد عليهم بعد الفرس. وبلغت فيه اللغة العربية ذروة الكمال رصانة واتساعا وجمعا وصارت لغة الدين والعلم والأدب، وترجمت إليها علوم الدنيا

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 89.

2- أحمد أمين: فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص 13.

3- ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 100. وينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 1، ص 194، 195.

المختلفة من فلسفة ومنطق وطب وكيمياء وفلك، وبلغوا فيه من السلطان والعمران ما بلغوه من قبل. كان للاختلاط والمداخلة بين العرب وغيرهم من العجم أثر بارز في صيرورة الأمة، وظهرت نتائجها في الأجسام والعقول والألسنة والعادات وسائر شؤون المجتمع، فجمع العنصر العباسي عز العرب ودهاء العجم، وظهرت العلوم المختلفة وساعدت الحركة النقدية وكثرة الرواية والترجمة والدرس اللغوي على ازدهار الأدب والشعر خاصة، وأصبح النقاد واللغويون سدنة الشعر في هذا العصر.

المحاضرة الثانية: الشعر في العصر العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-تمهيد.
2-الشعر في العصر العباسي.
3-الأغراض الشعرية.
4-الخصائص الفنية في الشعر العباسي.
5-خلاصة.

تمهيد:

كانت اللغة العربية في العصر العباسي هي اللغة الرسمية في البلدان الخاضعة لسيطرة المسلمين وكانت لغة العلم والأدب والفلسفة والدين لدى جميع الشعوب، وقد كُتِبَ النّاتج بمجمله باللغة العربية مع أنّ قسما كبيرا من أصحابه ليسوا من العرب. وقد غلب الطابع العربي على الأعاجم الذين نظموا وكتبوا بالعربية، فتأثّروا بالاتجاهات الأدبية العربية وانحصر تجديدهم ضمن القوالب التقليدية، لذلك فإنّ العصر العباسي وإن حمل الأدب الكثير من التجديد؛ لكن هذا التجديد كان دائما ضمن الأطر التقليدية.

والأدب الذي ساد في صدر عصر الدولة العباسية يسمى بالأدب العباسي نسبة إلى الدولة التي قيل في أيامها، ويسمى كذلك بالأدب المولد لأن معظم الأدباء ذلك العصر كانوا مولدين(مولودين من أبوين أحدهما عربي والآخر غي عربي) وبالأدب المحدث؛ لأن أولئك الأدباء كانوا محدثين(جددا أو متأخرين بالنسبة إلى أدباء الجاهلية وأدباء عصر بني أمية). ثم إن الأدب نفسه كان مولدا أي لم يكن عربيا خالصا في معانيه وأسلوبه⁽¹⁾.

فقد دخلت في الادب العربي فنون وأغراض ومعان لم يألّفها الادب العربي من قبل كالغزل المذكر والخمريات، والأوصاف الحضرية، وإهمال العصبية العربية البدوية. ودالت دولة الجمل والطلل، وقام على أنقاضها دولة الرياض والحسان⁽¹⁾. وأما الأسلوب فقد اكتسب رقة في التعبير لظهور ألفاظ جديدة نتيجة للمظاهر الحضارية والمادية الجديدة الوافدة، ودخل عليه التكلف بالإكثار من الصناعة كالجناس والطباق وغيرهما⁽²⁾.

عرف الأدب في هذا العصر بالثراء والغنى، ويدلنا على هذا الغنى ما نراه في شعر أبي نواس وأبي تمام وأبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري... وما نراه في نثر ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان وسواهم. ثم أنّ عمق الثقافة ساعد على عمق التجربة الإنسانية، فجاء الأدب العباسي زاخرا بالمعطيات الإنسانية من حيث تصويره لجوهر الإنسان وما يتعقب على النفس من حالات اليأس والأمل، والضعف والقوة، والحزم والفرح وغير ذلك... كما رسم الأدب العباسي المشاكل العامة في الاجتماع والفكر والسياسة والأخلاق.

ظهر كل ذلك في خمريات أبي نواس وخواطر ابن الرومي، وحكم المتنبي ووجدانيات أبي فراس، وتأملات المعري ونثر ابن المقفع، وانتقادات الجاحظ. فضلا عن ذلك عرف العصر مدارس أدبية شعرية ونثرية منها مدرسة أبي نّواس ومدرسة أبي تمام، ومدرسة أبي العتاهية، ومدرسة المعري في ميادين الشعر. وفي النثر عرفت مدرسة ابن المقفع، ومدرسة الجاحظ، ومدرسة بديع الزمان الهمداني، ولكلّ من هذه المدارس خصائصها واتجاهاتها، وقد كان لها الفضل في إعلاء شأن الحياة الأدبية في العصر العباسي.

الشعر في العصر العباسي:

كانت الحياة العباسية تموج بما تحمله من ثقافات مختلفة وأجناس متعددة وأهواء متضاربة، فراج اللهو والمجون وعمت الثقافات والعلوم والصناعات، وقد شجع الخلفاء كل

1-المرجع السابق، ص39.

2-المرجع نفسه، ص40، 41.

هذه الاتجاهات وانغمس بعضهم في ملامهها ومجونها، وكان الشعراء أسبق الطوائف إلى الاستمتاع والتفاعل مع جديد العصر الذي كان له الأثر الكبير على الشعر شكلاً ومضموناً، وقد حاول اللغويون رد الشعراء إلى الاقتداء بالنموذج الجاهلي الذي هو الأصل عندهم وما عداه فروع لا ترقى إلى الأصل وإن حسنت، يقول ابن الأعرابي: "إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره مثل الريحان يُشَمَّ يوماً ويُذوى فيرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً"⁽¹⁾.

ولقد تبرم الشعراء بهذه الآراء حتى ليُروى أن ابن منذر كان يقول لأبي عبيدة: "اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد، ولا تقل ذاك جاهلي وهذا إسلامي، وذلك قديم، وهذا محدث، فتحكم بين العصرين، ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية"⁽²⁾. وقد أفاد الشعر العباسي من مواقف اللغويين من جهة؛ إذ راح كل منهم يسعى نحو الإجابة، ولكن قيدت انطلاقه من جهة أخرى، كما حرص الشعراء على سلامة لغتهم وابتعدوا عن اللحن، وقصد بعضهم البادية وأقام فيها خوفاً من الحواضر، وما شاع فيها من لحن

ظل شكل القصيدة الجاهلية قائماً عند البعض من بكاء على الأطلال، وذكر للرحلة وبخاصة في شعر المديح، كما طرأت بعض التغييرات على القصيدة العربية عند البعض الآخر وذلك تبعاً لتغير الحياة العربية. ولم يعد العرب غالباً يعرفون أطلال الخيام، وإنما أطلال القصور والدور، ولم يعودوا يتغنون برمال الصحاري الممتدة، وإنما بالبساتين والرياض ومراكز اللهو، هذا إلى جانب ميلهم إلى رقة الأسلوب وحسن سبكه وخفته، وقد ظهرت موجة من التمرد على عمود القصيدة العربية والأوزان الشعرية.

1-المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص6.

2-الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد: الأغاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ج18، ص108.

أما مضامين الشعر فقد تأثرت بالثقافات الأجنبية من فارسية ويونانية وهندية، أما الفارسية فقد كانت شديدة التأثير في الشعر العربي العباسي وفي الحياة العباسية عامة، إذ تعلق الطبقات الراقية بكثير من عادات الفرس وتقاليدهم، بحيث لا يمكن حصر مظاهر التأثير الفارسي في الشعر العباسي، كما كان للمنطق اليوناني أثره في الشعر العباسي فقد استعار الشعراء بعض الأفكار الفلسفية اليونانية ووظفوها في أشعارهم.

ولم يقف الشعراء عند الأخذ من الثقافات الأجنبية فحسب بل دخلوا حتى غمار المعارك الكلامية التي كانت قائمة بين الفرق الإسلامية كالمعتزلة والأشعرية، والرافضة، والزيدية والكيسانية وغيرها، وأخذ الشعراء يعالجون المشاكل المطروحة بين تلك الفرق المتصارعة فكريا وعقائديا فكان لكل فرقة شعراء ينافحون عن مبادئهم ويعززون أفكارهم في مقابل مناوئهم من الفرق.

وإذا كان الشعر السياسي قد ازدهر في العصر الأموي لأسباب متعددة من أهمها قيام الأحزاب السياسية وتناحرها، إلا أن هذا اللون من الشعر قد انحصرت أهميته في العصر العباسي بسبب ضعف الأحزاب والعصبية القبلية.. وقد ازدهر بالمقابل شعر المدح بفعل ازدهار الحياة الاقتصادية وتطور الحياة الاجتماعية، مع ميل الخلفاء إلى الترف وحب الإطراء، فأقبل الشعراء يمجدون الخلافة والأمراء وأصحاب النفوذ مقابل العطايا السنية، كما قوي الهجاء بدافع تحاسد الشعراء وضمّنوا هجاءهم الكلام المقذع أحيانا.

-الأغراض الشعرية:

نظم الشعراء في هذا العصر في أغراض خاض فيها من سبقهم من الجاهليين والإسلاميين والأمويين، واستحدثوا أغراضا أخرى، فقد ظل الشعراء العباسيون ينظمون في الموضوعات القديمة من المديح وغيره، مما كان ينظم فيه الجاهليون والإسلاميون

والأمويون، وبذلك ابقوا للشعر العربي شخصيته الموروثة، ومضوا يدعمونها بما يلائم حياتهم العقلية والاجتماعية وأذواقهم المتحضرة⁽¹⁾.

ففي غرض المديح ظهر اتجاه مدح المدن والتعصب لها وإثراء محاسنها والتغني بجمالها، واتجاه آخر ينزع به أصحابه إلى مدح الذات الإلهية، وفي غرض الغزل ظهر ما يسمى بالغزل الشاذ أو الغزل بالمذكر، ومن الأسباب التي ساعدت على هذا الاتجاه تقشي الرذيلة والمجون في المجتمع الجديد الذي طبع الحياة العباسية، ووجود دور للغلمان والقيان، ومن أبرز شعراء هذا الاتجاه مطيع بن إياس، ووالبة بن الحباب، وأبو نواس وحماد عجرد وغيرهم...

استقلت قصيدة الطرد بعدما كانت ترد أبياتا من مطولات، كما استقلت أيضا القصيدة الخمرية، وفي غرض الرثاء ظهر اتجاه رثاء الممالك الزائلة ورثاء الحيوان، كما ظهر شعر الحكمة وشعر الفلسفة وشعر الزهد نتيجة امتزاج الحياة العقلية العربية بغيرها من الثقافات الوافدة، كما سجل هذا العصر شيوع الشعر التعليمي. وجدد الشعراء العباسيون في لغة الشعر وأساليبه، وثاروا على المقدمة الطللية في بنية القصيدة واستبدلوها بمقدمة خمرية، وسنعرض بعض النماذج الشعرية لبعض الشعراء

ومن ذلك قول بشار بن برد في هجاء ابن قزعة بشحه⁽²⁾:

خليلي من كعبٍ أعينًا أخاكما على دهره إنَّ الكريمَ مُعينٌ
ولا تبخلا بخلَ ابن قزعةٍ إنَّه مخافةً أن يرجى نَداهُ حزينٌ
إذ جنَّته في حاجةٍ سدَّ بابُه فلم تلقه إلا وأنت كمينٌ
وهذا حماد عجرد يهجو بشار فيقول⁽³⁾:

1- ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط12، دت. ص136.

2- بشار بن برد: الديوان، شرح محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف، مصر، دط، 1966 ج4، ص212.

3- سمير مصطفى فراج: شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص191.

شبيه الوجه بالقرد إذ ما عمى القرد
دنيء لم يرح يوما إلى مجد ولم يغد
ولم يحضر مع الحضا ر في خير ولم يبدا
ولم يُخشَ له ذم ولم يرح له سعد
هو الكلب إذا ما ت لم يوجد له نقد

استمر الرثاء على ما كان عليه من حرارة العاطفة والمشاعر الحزينة يقول ابن الرومي في رثاء ولده⁽¹⁾:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركما عندي
بيني الذي أهدته كفاي للثرى فيا عزّة المُهْدَى ويا حسرة المُهْدِي
توخّى حِمَامُ الموت أوسط صَبِيَّتِي فلله كيف اختار واسطة العَقْدِ
تحول الفخر من الفردي والقبلي إلى الفخر القومي كذكر مآثر العرب، يقول أبو تمام⁽²⁾:

السَّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
بِیْضُ الصَّفَائِحِ لَا سَوْدَ الصَّفَائِحِ فِي مَتُونِهِنَّ جَلَاءَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
وَالْعِلْمُ فِي شَهَبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةً بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشَّهَبِ
فَتَحَ الْفَتْوحُ تَعَالَى أَنْ يَحِيطَ بِهِ نَظَمَ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثَرَ مِنَ الْخُطْبِ
فَتَحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقَشْبِ
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَةِ انصرفت مِنْكَ الْمَنَى حَفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلْبِ

ظهر هذا اللون كرد فعل على تيار اللهو والمجون الذي تزعمه بشار، فظهر تيار الزهد يدعو إلى البعد عن الملذات الدنيوية والدعوة إلى العمل الصالح، يقول أبو العتاهية⁽³⁾:

يَا نَفْسُ قَدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ وَأُظْلَلِكِ الْخَطْبُ الْجَلِيلُ

1- ابن الرومي: الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 12002، ص400.

2- الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص35.

3- أبو العتاهية: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1986، ص307.

فتأهبي يا نفسُ لا يلعب بكِ الأملُ الطويلُ
فلتنزلي بمنزلة زل ينسى الخليلُ به الخليلُ
لا تعمر الدنيا فليـ س إلى البقاء بها سبيل

خلاصة:

حفل الأدب العباسي بمواضيع شعرية مختلفة ترجمت مشاعر أصحابه ونقلت صورة حياة عن نمط الحياة التي سادت في العصر العباسي الذي يعد بحق العصر الذهبي للأمة العربية والإسلامية، كما عكس هذا الادب مقدرة أصحابه الإبداعية واتجاهاتهم الأدبية، وعبر عن مختلف قضاياهم الفنية وعن أهم السمات التي طبعت مجتمعهم الجديد، وقد بلغ هذا الشأو لتوفر أسباب التطور والإبداع، نظرا لامتزاج العرب بالعجم، وما خلفه أثر الترجمة من الحضارات الأخرى، والاستقرار الفكري، والحرية التي تمتع بها الكتاب والأدباء عموما.

المحاضرة الثالثة: أثر الروافد الأجنبية على حركة الشعر العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-تمهيد.
2-حركة الترجمة في العصر العباسي.
3-أثر الثقافات الأجنبية على الشعر العباسي.
4-خلاصة.

1-تمهيد:

كانت الدولة العباسية تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن المحيط الهندي والسودان جنوبا إلى بلاد الترك، والخزر، والروم، والصقالبة شمالا، وبذلك فهي تضم بين جناحيها بلاد السند وخراسان وما وراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب، وهي أوطان فسيحة الأرجاء متباينة في الجنس واللغة والثقافة.

امتزجت كل هذه العناصر بالعنصر العربي تحت راية الإسلام، وانصهرت هذه الأجناس حتى كونت عنصرا إسلاميا واحدا. وغدت في هذا الزمن بيوت العرب تزخر بالإماء والجواري من كل جنس: من سنديات وحبشيات وفارسيات وخراسانيات وتركيات وروميات وصقلبيات، بحيث أصبح العربي الخالص الدم في بغداد نادرا، فالكثرة الكبيرة من أبناء العرب أمهاتهم من الجواري والإماء. وأخذ الاستعراب يسري في دمائهم وألسنتهم، فأنجبت الأمة العالم اللغوي على نحو ما هو معروف كسيبويه، وابن المقفع في صناعة الكتابة، وبشار بن برد، وأبي نواس وغيرهم في الشعر.

2-حركة الترجمة في العصر العباسي:

إن من أهم الأسباب التي دفعت إلى ازدهار الحركة الأدبية في العصر العباسي عامل الاتصال الخصب والمثمر بين الثقافة العربية وبين الثقافات الأخرى في المعارف

والعلوم والآداب عامة، وكان هذا الاتصال يبدأ منذ عصر بني أمية بطريقتين: بطريقة المشافهة مع المستعربين، وعن طريق النقل والترجمة. وقد شهد العصر العباسي ترجمة العديد من المصنفات اليونانية من لغتها الأصلية التي كان كثير منهم يحذفها، ومن لغتهم السريانية إلى اللغة العربية، وكان من أهم مراكزهم مدرسة جند ياسبور القريبة من البصرة، وكان أيضا الكثير من المصنفات اليونانية قد ترجم إلى الفارسية، فأدلى الفرس بدلوهم بنقل ثقافتهم وآثار اليونانيين على نحو ما هو معروف من نقل ابن المقفع لمنطق أرسطو، ونقل كتاب كليلة ودمنة الهندي الأصل إلى العربية⁽¹⁾.

كان خلفاء بني العباس يعنون بهذا النقل عناية شديدة وينفقون عليه الأموال الطائلة، ويعد الخليفة المنصور العباسي أول من ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية ككتاب كليلة ودمنة، وكتاب السند هند، وترجمت له كتب أرسططاليس من المنطقيات وغيرها⁽²⁾. ونشطت الترجمة في عهد الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطا واسعا، وكان مما أذكى جذوتها في ذلك الوقت بيت الحكمة، وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين وجلب الكتب إليها، وكان يقوم على هذا العمل المترجم يوحنا بن ماسويه الطبيب، كما شجع البرامكة نقل الذخائر النفيسة إلى العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية⁽³⁾.

ومن أنفس ما نقل في هذه الفترة من صنوف الآداب والأخلاق كتاب هزار أفسانة، وهو أصل من أصول ألف ليلة وليلة، وكتاب كليلة ودمنة الذي نقله أبان بن عبد الحميد وأهداه إلى جعفر بن يحيى البرمكي، كما نقل إلى العربية سيرة أردشير وسيرة أنوشروان، وبلغت الترجمة غايتها في عهد المأمون؛ إذ تحولت خزانة الحكمة إلى معهد علمي كبير يحمل الكتب المترجمة وغيرها في كل الفنون والعلوم، وسيول الترجمة كانت تجري إلى جانبها سيول أخرى من تراث اليونانيين والفرس والهند، حتى يكاد يظن أنه لم يبق شيء لم

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، ص110.

2- المرجع نفسه، ص110.

3- المرجع نفسه ص113.

ينقل إلى العربية من فنون المعرفة والآداب والملل والنحل والحرف والصناعات والعجائب والأخبار، وكانت كل هذه السيول تتجمع في دكاكين الوراقين⁽¹⁾.

3- أثر الثقافات الأجنبية على الشعر:

نقل العرب عن اليونان الفلسفة والطب والموسيقى والمنطق وعلم النجوم، وعن الفرس السير والآداب والحكم والتاريخ وعلم الفلك، وعن الهنود الطب والعقاقير والحساب والنجوم، وعن الكلدان الزراعة والفلاحة والتنجيم⁽²⁾. فنقلوا أهم تأليف أرسطو وبعض مؤلفات أفلاطون وأهم كتب جالينوس في الطب، وكل ما وصل إليه العقل اليوناني في العلم والفلسفة، فمن خلافة المنصور إلى آخر عهد بالرشيد (136-193هـ) ترجمت كليلة ودمنة من الفارسية، والسند هند من الهندية، وترجمت بعض كتب أرسطو طاليس في المنطق وغيره، وترجم كتاب المجسطي في الفلك، ومن أشهر مترجمي هذه الفترة: ابن المقفع، وجورجيس بن جبرائيل، ويوحنا بن ماسويه وكلاهما طبيباً نصرانياً، فقد كان للثقافة اليونانية أثر في اللغة العربية والأدب من عدة وجوه منها:

الألفاظ اليونانية الغربية: مثل البُرجد (كساء غليظ مخطط)، أبوقلمون (ثوب رومي يتلون للعيون)، الزبرجد، والزمرد، والياقوت، القيراط، والأوقية⁽³⁾ وهناك الكثير من الألفاظ الهندية التي عربت منها ما ورد في القرآن الكريم كالزنجبيل والكافور، ومنها ما ورد في اللغة العربية كالآبنوس والبغاء والخيزران والفلفل والأهليلج، وغير ذلك من أسماء الحيوانات والنباتات الهندية⁽⁴⁾.

وقد تأثر الشعر العربي في هذا العصر في ألفاظه ومعانيه بالوافد من غيره، ففي معانيه تأثر بتوليد المعاني الحضرية واقتباس الأفكار الفلسفية، إذ أكثر شعراء هذا العصر

1- المرجع السابق، ص 117.

2- مارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص 174، 175.

3- ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول، ص 150.

4- ينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 1، ص 264.

ولدان جنسيتين ورضاع لغتين وأدبين وربائب حضارتين مختلفتين، ولهذا اللقاح أثر في الفكر والعقل ما يعلل وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار أبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي، وحتى لنقل علم اليونان فضل على الشعر العربي في معانيه وفي أفكاره، فشعر أبي تمام وأبي العلاء المعري شيء من الخواطر الفلسفية والسياسية والآراء العلمية، والنظرات التأملية⁽¹⁾.

ومن الحكم ما نسب لحكماء يونانيين مثل فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو. ولعل أكبر بيئة اعتنت بهذه الثقافات المتنوعة، وكان لعنايتها أثر واسع في الشعر والشعراء بيئة المعتزلة، فقد تتقف أهل الاعتزال بكل ما ترجم عن اليهود والفرس واليونان، وعكفوا على الفلسفة اليونانية عكوفاً. فقد مضى بشار بن برد يعارض واصلاً بن عطاء في قضية التخيير والتسيير، مصرّاً على أن الإنسان مسير في رحلته الدنيوية بقضاء يخطه له غده ومستقبله. ولم يقف الشعراء عند الأخذ من تلك الثقافات الأجنبية فحسب، بل دخلوا في غمار المعارك الكلامية التي كانت قائمة بين الفرق الإسلامية كالمعتزلة والأشعرية والزيدية...

كان للفرس أشعار لا تضبط كثرة، وللفرس أشعار دون الفرس، وتذكر المصادر أنه اجتمع في ديوان الشاعر صالح بن عبد القدوس ألف مثل للعرب وألف مثل للعجم، كما ترجمت بعض العجم إلى العربية مثل: عفو الملك أبقي للملك، من أوقد ناراً للفتنة احترق بها... والشعر الديني الذي كان يحمل لواءه صالح بن عبد القدوس وأبو العتاهية فيه نزعة ثنوية كان ينزعها الفرس قديماً، وأنه كان في نزعة بشار الإباحية أثر مزدكي، وفي نزعة أبي العتاهية عنصر مانوي⁽²⁾. وفي الجدال الدائر حول بعض القضايا الفكرية والعقدية

1- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 251.

2- ينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 1، ص 205.

كالتخيير والتسيير، ومن ذلك الاتجاه الذي كان ينتهجه بشار المتمثل في اللهو والمجون والتهتك والغزل الفاحش، حتى بلغ الأمر إلى اتهامه بالزندقة، ومن ذلك قوله⁽¹⁾:

خَلَقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مَخْيَرٍ
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأَعْطَى وَلَمْ أُرَدْ
وُضِرْتُ عَنْ قَصْدِي وَحُلْمِي مَبْلُغِي
لِعَمْرِي لَقَدْ غَالَبَتْ نَفْسِي عَلَى الْهَوَى
وَمَنْ عَجَبَ الْأَيَّامِ إِنْ اجْتَنَّبَهَا

هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا
وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أُنَالَ الْمَغْيَبَا
وَأُضْحِي وَمَا أُعْقِبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا
لَتَسَلَّى فَكَانَتْ شَهْوَةُ النَّفْسِ أَغْلَبَا
سَهْلَ وَإِنِّي لَا أَطِيقُ التَّجَنُّبَا

وكان أبو تمام على شاكلة أبي نواس يتعمق الاعتزال وعلم الكلام والفلسفة وما يتصل بها من المنطق، يقول الآمدي في كتابه الموازنة بين الطائيتين: "إنما شعره يعجب أصحاب الفلسفة وتترأى ألفاظه من حين إلى حين يقوله في هجاء بعض خصومه، كقوله⁽²⁾:

هَبْ مِنْ لَه شَيْءٌ يَرِيدُ حَاجَتَهُ	ما بال لا شيء عليه حجابُ
ما إِنْ سمعتِ ولا أَرَانِي سامعا	أبدا بصحراء عليها باب
من كان مفقود الحياء فوجهه	من غير بواب له بواب
مازال وسواسي لعقلي خادعا	حتى رجا مطرا وليس سحاب
كنت ادري ولا دريت بأنه	يجري بأفنية البيوت سراب

فكلمة لاشيء في المصطلح الفلسفي تعنى العدم، ويقول:

لن ينال العلا خصوصا من الفت — يان من لم يكن نداء عموما
والعموم والخصوص كذلك من مصطلحات المناطق. وثبت الجاحظ في كتابه البيان
والتبين عندما ساق لشاعر يسمى أسود بن أبي كريمة قطعة شعرية اختلطت فيها الألفاظ
الفارسية بالعربية، يقول فيها⁽¹⁾:

1-بشار بن برد: الديوان، ص270.

2- عمر عروة: الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010، ص180.

قد حسا الداذي صرفاً

كلامه لبعض غلمان المجوس⁽²⁾:

وَأَسْبَالُ الْوَهَارِ

الطبائع، يقول⁽³⁾:

واكتست الأرض من زخارفها

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، ص 141.

2- المرجع السابق، ص 143.

3- أبو نواس: الديوان، ص 530.

ويقول في مناسبة أخرى⁽¹⁾:

سَخُنْتُ من شدة البرودة حتى صِرْتُ عندي كأنك النارُ

لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج باردٌ حارٌ

يشير ابن قتيبة إلى ذلك: أن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حاراً مؤذياً. وكان للهنود عادات وشعائر ونظم وشرائع تضمنها البراهمة المختصون في الدين، فعندهم إماتة الحيوان محظورة عليهم، ومنعهم عن إتباع الشهوات، وربما هذا التعاليم هي التي أثرت في أبي العلاء المعري عندما حرم عن نفسه أكل اللحم وكره ذبح الحيوان، وغيرها من التقاليد التي ذابت في المملكة الإسلامية وكانت عنصراً من عناصر الآداب العربية. وأما في معاني الشعر فتتشكل من توليد المعاني الحضرية، واقتباس الأفكار الفلسفية، إذ أكثر شعراء هذا العصر من جنسيات مختلفة ورضاع لغات وآداب وربائب حضارات مختلفة، ولهذا التلاقح الأثر في الفكر والعقل ما يعلل وفرة المعاني الجديدة في الشعر العباسي، وبالأخص في شعر بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي، ثم نقل العرب علوم اليونان وغيرهم، فكان لهذا النقل فضل على الشعر في معانيه لا في فنونه وحفل شعرهم بالخواطر الفلسفية وبنظرات التأمل والسياسة والآراء العلمية، وهذا ما يلمس في شعر أبي تمام والمتنبي والمعري.

4- خلاصة:

لاشك أن أدب كل عصر هو ظل الحياة الاجتماعية، وقد كانت الحياة العباسية ذات ألوان متعددة، فتغلغت العادات الفارسية وغيرها وكان مظهرها واضحاً جلياً، وتأثرت مضامين الشعر بالثقافات الأجنبية من هندية ويونانية وفارسية، فالثقافة الفارسية كان لها الأثر الكبير في الشعر العباسي وفي الحياة عامة، إذ تعلق الطبقة الراقية بكثير من

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، ص 110.

العادات والتقاليد، وكان للمنطق اليوناني أثره أيضا في الشعر العباسي، فقد استعار الشعراء بعض الأفكار الفلسفية اليونانية ووظفوها في أشعارهم.

المحاضرة الرابعة: الشعر العباسي ومظاهر التجديد والإبداع.

مخطط المحاضرة:
1-تمهيد.
2-من مظاهر التجديد في القصيدة العباسية.
3-البعد عن القصائد المطولة.
4-التجديد في مقدمة القصائد.
5-التجديد في موسيقى الشعر.
6-التجديد في المعاني.
7-التجديد في الألفاظ.
8-التحول إلى الطابع الشعبي.
9-خلاصة.

تمهيد:

يرى الباحثون أن الإرهاصات الأولى للتجديد كانت في حاضرة الكوفة نظرا لنشأتها بجوار الديانتين اليهودية والنصرانية، ولأنها كانت تجاور عقائد السكان الأصليين من مانوية وزرادشتية ومزدكية، وقد كانت حياتهم عامرة بالحانات والأديرة وفنون اللهو والعبث، ولذلك كان شعراء الكوفة أول من خرج عن عمود الشعر منذ بداية القرن الثاني الهجري، ويعترف بذلك أبو نواس بقوله⁽¹⁾:

ما ذاك إلا أنني رجلٌ لا أستخفُّ صداقةَ البصري

ذهبتُ بنا كوفان مذهبها وعَدِمْتُ عن ظرفائها صبري

كان قالب القصيد كما هو معروف في الشعر الجاهلي. وقد صار طرازاً قديماً بالياً أواخر عهد الأمويين فلم يقو على مسايرة العصر، فقد كانت مواده ومعانيه المتوارثة المحدودة في

1-أبو نواس: الديوان، تحقيق محمد أنيس مهرا، دار مهارات للعلوم، حمص، سورية، ط1، 2009، ص385.

نطاق ضيق مرتبطة بحياة البادية، ولم تعد تتفق مع الروابط والصلات الجديدة التي تختلف عن علاقات البادية التي كانت بين السكان المختلطين من العرب والعجم في المدائن الكبيرة، وهكذا انحل عمود الشعر، فما كان من فقرات القصيد القديم صالحا للحياة بعد ما تناوله كبار الشعراء في هذا العصر، فصاغوا منه أنواعا مستقلة من الشعر كالخمريات والغزل، والطرديات وغير ذلك...

أخذت حركة التجديد تسري في مطلع القرن الثاني الهجري واصطدمت بعمود الشعر القديم ومنهجه وقوالبه، ومما ساعد على التجديد ظهور طبقة جديدة من المجتمع تمثل مزيجا من العرب ومختلف الأجناس التي تختلف طريقة تفكيرهم عن العرب، وفي بداية هذا القرن ظهر الشعراء المولدون الذين يحسنون اللغة العربية إلى حد البراعة في قول الشعر كما يحسنون لغتهم الأخرى، فلا شك أن ثقافة اللغتين تولد روح التجديد التي لا تنتظر إلى التراث الشعري القديم نظرة التقديس والرهبنة.

مظاهر التجديد في القصيدة العباسية:

1- البعد عن القصائد المطولة: أول مظهر من مظاهر التجديد هو البعد إلى حد ما عن القصائد المطولة التي طبعت الشعر الجاهلي القديم، واختيار المقطوعات التي لا تتجاوز بضعة الأبيات. لقد عرفت القصيدة في العصر العباسي تطورا في بنائها والتحام أجزائها بعدما كانت قديما توصف بالطوال المركبة بما تحويه من أغراض متعددة، وكانت براعة الشاعر الجاهلي تتوقف في الانتقال من غرض إلى غرض، أو يتخلص في ذلك دون أن يحس المتلقي بهذا الانتقال، وأصبحت القصيدة عند الشاعر المحدث في معظمها مقطعات قصيرة تحوي غرضا واحدا⁽¹⁾. وكان الشاعر في القديم ينتقل من فكرة إلى أخرى، على

1- ينظر: سلامة أبو السعود: الأدب العربي في مختلف العصور، دار العلم والإيمان، دط، 2007، ص 130، 131.

عكس الشاعر العباسي المحدث الذي غالبا ما يحدد قصيدته بفكرة واحدة تأخذ أبياتا معدودة⁽¹⁾.

2-التجديد في مقدمة القصيدة: لقد كانت بنية القصيدة من أبرز مظاهر الاتجاه إلى الذوق الجديد والصراع حوله بالإضافة إلى ما استجد في هذا العصر من الدعوة إلى ما يسمى بواقعية التجربة الشعرية التي يراد منها اختيار الشاعر لموضوعات شعره انعكاسا لما يعانيه في حياته وفي بيئته المادية والاجتماعية، وبرز هذا الصراع بشكل واضح في مسألة المقدمة الطللية لقصيدة المديح، فقد كان التقليد المتبع في قصيدة المديح أن يقف الشاعر مستهلا على الأطلال وتذكر الأيام الخوالي، أيام الصبا وأنسه بأحبائه، ثم ذكر الرحلة والراحلة بعد ذلك حتى لم يبق من آثارهم إلا الرسوم الدارسة.

فالشاعر في النموذج القديم يصف الأطلال معبرا عن حنين قوي لمراتع وملاعب صباه مستطردا إلى وصف الصحراء؛ لكن في العصر العباسي تتسع دائرة خيال الشاعر فيتخذ موضوعات جديدة، يجنح فيها إلى ترك المحافظة على بنية القصيدة التقليدية ويلج أغراضه دون مقدمات طللية، فكان يصنع مقطوعات لعدة أغراض. نجد ذلك عند بشار بن برد عندما رد على الأعرابي الذي قال له: ما للموالي والشعر؟ فقال⁽²⁾:

تفاخر يا ابن راعية وراع	بني الأحرار وحسبك خسار
لعمر أبي لقد بُدِّلَتْ عَيْشا	بعيشك والأمور إلى مجاري
وكنْتَ إذا ظَمُنْتَ إلى قراح	شركت الكلب في ذاك الإطار

3-التجديد في موسيقى الشعر: تمثل أوزان الخليل الستة عشر تنوعا موسيقيا واسعا يبيح للشاعر أن ينظم في دائرتهم كل ما تجود به قريحته وعواطفه وأفكاره، إلا أننا لما نقرأ

1-ينظر: الربيعي بن سلامة: تطور البناء الفني في القصيدة العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2006، ص30.

2-بشار بن برد: الديوان، ج3، ص232.

لبعض شعراء بني العباس نلاحظ بعض الملامح التجديدية في الأوزان والقوافي وبحور الشعر. يقول بشار بن برد⁽¹⁾:

عُتِبَ ما للخيال خبريني ومالي
عُتِبَ مالي أراه طارقا من ليالي

قيل لبشار: خالفت العروض، قال: سبقت العروض. إن انتشار الموسيقى وانتشار الغناء ساعد على التجديد في الأوزان والجرس الداخلي فجاء الشعر سهلا خفيفا رقيقا حسن التقسيم سهل التلحين، ومال الشعراء إلى الإيجاز الراقص وإلى والنغم القصير. يقول الشاعر مطيع بن إياس⁽²⁾:

خرجنا نمتطي الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا
ونشربها معتقة تخال بكأسها شررا
وجوهر عندنا تحكي بدارة وجهها القمر
يزيدك وجهها حسنا إذا ما زدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نر مثلها بشرا

فقد مال الشعراء إلى هذه الأوزان القصيرة، ووجدوا في تجزئة الأوزان القديمة وزحافاتهما وعللها ما يهيئ لهم الفرصة لاختيار اللفظ الذي يتلاءم مع ما تفيض به جوانحهم وتجدد به قرائحهم، وأكثر أبو العتاهية من هذه الأوزان المجزوءة لسهولة ألفاظه. ومن قوله⁽³⁾:

تمسكتُ بآمالٍ طوالٍ بعد آمالٍ
وأقبلت على الدنيا بعزمٍ، أيّ إقبال
فيا هذا تجهز لـ فراقِ الأهل والمال

1-المصدر السابق، ج1، ص83.

2-سعد إسماعيل شلبي: الشعر العباسي التيار الشعبي، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، دط، دت، ص77.

3-أبو العتاهية: الديوان، ص346.

واعتمدوا الأوزان الملائمة للغناء كالمتقارب والهزج والخفيف والرمل، وهوروا في البحور القديمة وطوعوا نغماتها، كما قلبوا أوزان البحور، وأنتجوا أوزانا جديدة مثل: المستطيل والممتد والمتوافر والممتد والمنسرد والمطرّد.

4-التجديد في المعاني: لا شك أن التغيير السياسي والاجتماعي والثقافي الذي حدث في الحياة العباسية أحدث تغييرا واضحا في الشعر من حيث الأغراض والمعاني والألفاظ والأساليب، فسلك الشعر نهجا غير الذي كان على عهد بني أمية، ونشأت معان جديدة، وذهب الشعراء مذاهب مختلفة في وصف المعاني والتعبير عنها، ومن المعاني الجديدة التشبيه الجميل عند بشار على سبيل المثال عندما شبه الصباح باللون الأبيض رابطا ذلك بنفسه وحرمانه من فقدان بصره، يقول⁽¹⁾:

يا لَيْلَتِي لَمْ أَنْمَ شَوْقاً وَتَسْهَاداً	حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ الصُّبْحِ قَدْ عَاداً
كَبُرْتُ لَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ مُنْبَلِجاً	يَحْدُو تَوَالِيَّ جَوْنَ بَانَ أَوْ كَاداً
وَرَائِحٍ مِنْ بَنِي الْعَلَّاتِ يَعْذُلْنِي	وَمَا دَرَى بِدَوَاعِي الْحُبِّ وَثَّاداً
كَاتَمْتُهُ بَعْضَ مَا أَلْقَى وَقُلْتُ لَهُ	لَا أَسْتَطِيعُ دَوَاعِي الْحُبِّ مُنْقَاداً
أَيَّامَ يَحْسُدُهَا وَدِّي وَيَحْسُدُنِي	مَا لَا أَنَالُ نِسَاءً كُنَّ حُسَّاداً
ثُمَّ انْقَضَى ذَاكَ إِلَّا ذِكْرَ مَلْعَبِنَا	بِالْبَيْتِ إِذْ نَتَّقِي عَيْناً وَأَرْصَاداً

ومن تشبيهاته كذلك التي تنزع صورة من متعدد في قوله⁽²⁾:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبه

تطورت المعاني لتطور الأوضاع والعادات الاجتماعية والأخلاقية في هذا العصر فبعد أن كانت الشجاعة والكرم وحماية الجار وباقي الفضائل هي من أهم صفات المدح، تغيرت

1-بشار بن برد: الديوان، ج3، ص98، 99.

2-المصدر نفسه، ج1، ص333.

وأصبح الخليفة يُمدح بما يريده من تأكيد حق الخلفاء في الخلافة، ونصرة مذهبهم والنيل من خصومهم العلويين، ولم يكونوا يرغبون أن يمدحوا بالفضائل التقليدية المعروفة. وكان الإطار الحضاري الذي عرفه الشاعر العباسي يختلف عن الإطار عاش فيه الشاعر القديم، فأبو نواس مثلاً ينكر أن يكون له نصيب في الفروسية التي يعتد بها الشاعر القديم، ويرى أنه لم يخلق لها، وإنما خلق للهو والطرب. يقول⁽¹⁾:

يا بشرُ ما لي وَالسَّيْفِ وَالْحَرْبِ	وَإِنَّ نَجْمِي لِلَّهِ وَالطَّرَبِ
فَلَا تَتَّقِ بِي فَإِنِّي رَجُلٌ	أَكُفُّ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَالطَّلَبِ
وَإِنْ رَأَيْتُ الشُّرَاةَ قَدْ طَلَعُوا	أَلْجَمْتُ مُهْرِي مِنْ جَانِبِ الدَّنَبِ
وَلَسْتُ أَدْرِي مَا السَّاعِدَانِ وَلَا الـ	تُرْسُ وَمَا بَيْضَةُ مِنَ اللَّبَبِ
هَمِّي إِذَا مَا حُرُوبُهُمْ غَلَبَتْ	أَيُّ الطَّرِيقَيْنِ لِي إِلَى الْهَرَبِ
لَوْ كَانَ قَصْفٌ وَشُرْبٌ صَافِيَةٌ	مَعَ كُلِّ خَوْدٍ تَخْتَالُ فِي السُّلْبِ
وَالنَّوْمُ عِنْدَ الْفَتَاةِ أَرْشَقُهَا	وَجَدْتَنِي ثَمَّ فَارِسَ الْعَرَبِ

ونلاحظ أيضاً التجديد في الصور الفنية كما هو الحال في أشعار أبي تمام الذي يضرب به المثل في استخدام البديع والإفراط في الصنعة والتنميق، يقول في قصيدة عمورية مخاطباً المعتصم⁽²⁾:

غَادَرَتْ فِيهَا بِهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى	يَسْلُهُ وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغَبَتْ	عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ
ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةٌ	وَزُظْلَمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شَحْبِ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَقَلَّتْ	وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ

1- أبو نواس: الديوان، ص 94.

2- الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، ج 1، ص 39، 40.

شبه الليل بالضحي واللهب بالصباح، والمقابلات في البيت الثاني تزعم طلوع الشمس في الليل وغيابها في الصباح نظرا لاختلاط النار بالدخان عند احتراق المدينة وهذه الصور تعد من التجديد في الشعر العربي الذي تعمد البساطة في التشبيه والاعتدال في الاستعارة والبعد عن التعقيد المعنوي.

5-التجديد في الألفاظ: تعد اللغة ظاهرة دالة على الحياة العقلية لكل أمة، ولم تخلق اللغة دفعة واحدة، ولم يأخذ الخلف عن السلف اللغة كاملة، وإنما يبدع الناس ألفاظا على قد حاجاتهم، وإذا استجبت أشياء جديدة خلقت لها ألفاظها الجديدة، وإذا اندثرت أشياء تندثر ألفاظها، وتتمو اللغة وترتقي تبعا لرقى الأمة، وكان بنو العباس على جانب رفيع من البيان والفصاحة، وحضور البديهة ومثانة الارتجال حتى وُصفوا بأمرأء الكلام، ونظم شعراؤهم الشعر بألفاظ بسيطة سهلة قريبة من لغة الحياة اليومية تعبر عن أفكارهم دون قيود.

وقد أثرت الثقافات الوافدة على الأمة في لغة الشعر، ودخلت ألفاظ هندية جديدة مثل: زنجبيل، خزران، أنوس...وبعض أساليب القصص والحكايات، وبعض بالحكم والأمثال الهندية التي انتشرت في الكتب المترجمة، ككتاب عيون الإخبار لابن قتيبة الذي تأثر به الشعراء، وهذا على قلة تأثير الهنود والأترك في ذلك، مقارنة مع تأثير الفرس واليونان، ومن الأمثلة على ذلك نجد أبا تمام يوظف كلمة البطريق التي تعني القائد في قوله⁽¹⁾:

كم أسيرٍ من سرهم وقتيلٍ	رادعِ الثَّوبِ من دم كالخلاقِ
يستغيثُ البطريقَ جهلاً وهل تَطُ	لُبُ إلا مُبَطَّرَقَ البطريقِ

6- تحول القصيدة إلى الطابع الشعبي: كثر الشعر في هذا العصر الذي يتجه إلى قطاع

عريض من الناس، وكان ذلك أكثر انتشارا على الألسن، يقول بشار بن برد⁽¹⁾:

ربابة ربة بيت تصبّ الخلّ في الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

مقارنة بقوله⁽²⁾:

إذا ما غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرَ الدِّمَا
إذا ما أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ دُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا
وَأَنَا لَقَوْمٍ مَا تَزَالُ جِيَادُنَا تُسَاوِرُ مَلَكًا أَوْ تُتَاهِبُ مَغْنَمًا
خَلَقْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا سُيُوفًا وَنَقَعًا يَقْبِضُ الطَّرْفَ أَقْنَمًا

سئل بشار على أنه يأتي من الأمر المهجن، فقال: كل شيء في موضعه، وربابة هذه جارية لي، وأنا لا أكل البيض من السوق، وهي من تجمعه لي من دجاجاتها، وكان هذا من قولي إليها أحلى وأحسن عندها من⁽³⁾:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

خلاصة:

في ختام هذا الدرس وبعد التطواف الموجز في بعض سمات الشعر المتجددة في هذا العصر نستطيع القول: إن الأدب العباسي لم يكن عربيا خالصا فقد تجدد في أغراضه وفنونه وألفاظه وأسلوبه، وإن أكثر أدباء هذا العصر من المولدين، كما أن الأدب نفسه مولدا، واتجه الشعر في كثير من حالاته إلى قطع الصلات بالشعر الذي يتسم بمحاكاة القدماء ومن احتذوا بالنموذج الجاهلي، ودخول الأجناس الأخرى ولغاتهم وثقافتهم قد أحدثا تمازجا ثقافيا واجتماعيا أدى إلى تغيير لغوي في التراكيب والدلالات والألفاظ.

1- عز الدين إسماعيل: الشعر العباسي الرؤية والفن، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 1994، ص313.

2- بشار بن برد: الديوان، ج4 ص163.

3- الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2007، ص9.

المحاضرة الخامسة: شعر مخضرمي الدولتين.

مخطط المحاضرة:
1-تمهيد.
2-الخضرمة وفنية التحول.
3-المراحل الفنية لتطور الشعر العباسي.
1.3-مرحلة شعراء المحافظة.
2.3-المرحلة الإطلاقة العباسية.
3.3-مرحلة التحول والانطلاقة العباسية.
4-خلاصة.

1-تمهيد:

لقد أمكن تسمية الشعراء الذين عاشوا في عصر الدولة الأموية وأدركوا عصر الدولة العباسية بالشعراء المخضرمين قياساً على مرحلة التغير السابقة (جاهلية، إسلام) ثم تعدلت الصفة فسموا بمخضرمي الدولتين، غير أنه إن جاز هذا المصطلح في نطاق التسمية، فهل يمكن ذلك في نطاق الفن نفسه حيث يصبح الفن الأموي بين يوم وليلة متغيراً متطوراً فيسمى بالفن العباسي؟.

والواقع أن التغير السياسي يحدث أحياناً فجأة، وهذا لا يعني أن التغير السياسي المفاجئ يعني تغييراً مفاجئاً في الإبداع الفني، وإنما يحدث التغير الفني في نطاق التطور الطبيعي الذي يأخذ بعض الوقت، فالنقلة الفنية في ميدان الشعر والحضارة اتخذت عدة

مراحل. فالنتاج الأدبي الذي يحمل صفة العباسية مثلاً يحتاج إلى فترة تحول ثم نضوج ثم تألق، ومن ثم فقد تخبو الجذوة السياسية وتتألق الجذوة الأدبية والفنية⁽¹⁾.

والخضرمة في اللغة: القطع، والجمل المخضرم هو الذي قطعت أذنه فهي بين الوافرة والناقصة، والمخضرم في اللغة: هو من كان عمره نصفاً بين الجاهلية والإسلام والمخضرم⁽²⁾. أما الشعراء المخضرمون: فهم الشعراء الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام وأسلموا، والمخضرم هو الرجل الذي عاش بين عصرين، والمخضرمون بإطلاق هم الشعراء الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، أما مخضرمو الدولتين فهم الذين اشتهروا في دولة بني أمية ثم أدركوا دولة بني العباس⁽³⁾.

2- الخضرمة وفنية التحول:

لقد أمكن تسمية الشعراء الذين عاشوا في عصر الدولة الأموية وأدركوا الدولة العباسية بالشعراء المخضرمين قياساً على مرحلة التغيير السابقة. فكيف أصبح الفن الأموي بين يوم وليلة متطوراً وسمي بالفن العباسي؟ فكم من شاعر أموي عاش في العصر العباسي وظل أمويًا في فنه صياغة وموضوعاً، وكم من شاعر لحق بالدولتين، وتحول تحولاً يتفق مع طبيعة العصر لكنه كان بطيئاً في تحوله، وهناك من الشعراء الذين طوّروا شعرهم بشكل أسرع من غيرهم وأسهموا في وضع الأسس الفنية للشعر العباسي.

إن التغيير السياسي يحدث فجأة، ولا يعني هذا التغيير المفاجئ تغييراً أيضاً في الإبداع الفني، إنما يحدث التغيير الفني في إطار المرحلية التي تأخذ بعض الوقت. فالانتقال الفني في ميدان الشعر والحضارة اتخذ عدة مراحل على عكس الانتقال السياسي. والإبداع الأدبي في أي أمة يحتاج إلى فترة تحول حتى يصل إلى النضج والتألق. فقد تخبو الجذوة السياسية وتتألق الجذوة الأدبية والفنية، فالشاعر ابن الرومي وابن المعتز وأضرابهما

1- ينظر: مصطفى الشكعة: رحلة الشعر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص406.

2- ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2003، مادة (خ.ض.ر.م).

3- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، ص51.

ظهروا في بداية فترة الانهيار السياسي للدولة العباسية، والمتنبى ظهر مع سقوط بغداد تحت سنانك خيل الديلم، وعاش في عهد تمزق الدولة العباسية وأخذ يتنقل من إمارة الحمدانيين في حلب إلى الإخشيديين في مصر إلى إمارات الديلميين من بني بويه في العراق، وكذلك الأمر بالنسبة لأبي العلاء المعري.

3- المراحل الفنية لتطور الشعر العباسي:

انطلاقاً من هذا التقديم يمكن القول: إن شعر مخضرمي الدولتين قد سار في أثناء هذا التحول عبر مراحل: أولها متمسكة بالأرضية الفنية الأموية الرافضة لغيرها، وثانية تتفق بتقلها الأرضية الأموية ولكنها تطل قليلاً على التجديد العباسي، وثالثة تضع نصفها فوق الأرضية الأموية والنصف الآخر فوق العباسية وهي حاملة لواء التجديد ورائدة له⁽¹⁾:
1.3-مرحلة شعراء المحافظة: هي مرحلة مثلت لشعراء امتازوا بنقاء الأسلوب، والفحولة والبعد عن أسلوب الحضر، وجزالة القول⁽²⁾، ومن أعلام هذه المرحلة: الأحيمر السعدي(ت170هـ) الذي عاش أكثر حياته في الصحراء وفي الخلوات على مذهب الصعاليك. ومن شعره⁽³⁾:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى	وصوّتَ إنسانٌ فكدت أطيّرُ
يرى الله أني للأنيس لشانئ	وتبغضهم لي مقلة وضميرُ
فلليل إن وارانِي الليل حكمهُ	وللشمس إن غابت نذورُ
وإنّي لأستحي من الله أن أرى	أجرّر حبلاً ليس فيه بغير
وأن أسأل المرء اللئيم بغيره	وبعران ربي في البلاد كثير

ومن شعراء المرحلة أيضاً الشاعر الراجز ابن ميادة(ت149هـ) الذي كانت المحافظة في شعره طابعا يتميز به، وميزة ظاهرة في فنه، فقد التزم الأموية التزاماً كاملاً وحافظ على

1-حامد حنفي أبو داود: الآداب الإقليمية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط2، 1981، ص89.

2-ينظر:مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1986، ص18.

3-عبد المعين الملوح: أشعار اللصوص وأخبارهم، منشورات دار أسامة، عمان، الأردن، دط، دت ص108.

معالم تراثها، كما التزم العفة في الغزل والأصالة في المديح. ومنهم أيضا محمد بن ذؤيب (ت197هـ) المعروف باسم العماني الذي مدح الأمويين والعباسيين ابتداء من مروان بن محمد المرواني من بني أمية إلى الرشيد العباسي، وكان يجمع بين قول الرجز والقصيدة، وامتاز شعره بالطابع البدوي. يقول ابن ميادة مفتخرا بنسبه من أبيه وأمه⁽¹⁾:

أنا ابن أبي سلمى وجدي ظالمٌ وأمي حصانٌ أخلصتها الأعاجمُ
ليس غلام بين كسرى وظالمٍ بأكرمٍ من نيطت عليه التمائمُ
ويقول متشوقا إلى أم جحدر⁽²⁾:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر سبيل؟ فأما الصبر عنها فلا صبرا
فإن يك نذر راجعا أم جحدر عليّ فقد أوذمت في عنقي نذرا
وإني لأستثني الحديث من أجلها لأسمع منها وهي نازحةٌ ذكرا

2.3- مرحلة الإطلال على العباسية: هي مرحلة وقعت على الأرض الأموية بنصف منها وأطلت على الأرض العباسية فنيا بنصفها الآخر، فقد حافظ شعراؤها على أصالة القصيدة الأموية؛ لكن تخلل شعرهم شيئا من التطور في غير إسراف أو تسرع؛ وظلوا يلتفتون إلى الماضي حتى يحافظوا على إشراق ونضرة وصفاء الشعر والتزام العمود الشعري. وأشهر من يمثل هذه المرحلة: أبو نخيلة الراجز (ت145هـ) وأبو حية النميري (ت180هـ) الذي امتاز بغنائية صادقة الحب شفافه الحس، مهتاجة الوجد، كما امتاز برقعة شعره، وهو من أبرع من وصف حديث المرأة بشكل دقيق.

والشاعر مروان بن أبي حفصة (ت182هـ) هذا النجدي من اليمامة الذي اشتهر بمدح ورتاء معن بن زائدة الشيباني، كما حاول أن يمدح العباسيين فلم يوسعوا له صدرهم، ولم يفسحوا له مجالسهم أول الأمر لإفراطه البكاء على الأمويين. ومن ناحية الأسلوب فقد

1-مصطفى الشكعة: رحلة الشعر ، ص430.

2-المرجع نفسه، ص436.

الترمز طريقا وسطا بعيدا عن البدوية قريبا إلى الحضرية فكان واحدا من أبناء هذه المدرسة التي تمثل همزة وصل بين النهج الأموي والشعر المحدث العباسي الذي انطلق إلى التحرر من السمات التقليدية للقصيدة الأموية التي لم تعد متمشية مع طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية العباسية⁽¹⁾.

3.3-مرحلة التحول والانطلاقة العباسية: وهي مرحلة اتسمت بالتطور والخلق والإبداع فشاعر هذه المرحلة وطد دعائم التجديد وهيا سبيله لمن بعده، وأبرز شعراء هذه المرحلة: آدم بن عبد العزيز (ت170هـ)، والحسن بن مطير (ت165هـ) وإبراهيم بن هرمة (ت176هـ) وبشار بن برد (ت167هـ) فهؤلاء هم رؤوس التجديد في الشعر العربي⁽²⁾. التزموا السمة الأموية في مدحهم، وكذلك الحال في الرثاء.

يقف آدم بن عبد العزيز على إيوان كسرى يرثي مجد حضارة زائلة، وبهذا يمثل الحلقة الثالثة لشعر المخضرمين، فإذا كان أبو العباس الأعمى من شعراء المرحلة الأولى يبكي ذهاب بني أمية ولا يتنكر لهم، أصبح آدم بن عبد العزيز يبكي مجد الفرس الزائل. وبعد قرن من الزمان يأتي البحري (ت280هـ) ليقول سينيته الشهيرة في إيوان كسرى⁽³⁾. يقول آدم بن عبد العزيز⁽⁴⁾:

أقول وراعني إيوان كسرى	برأس معان وأدرو سفان
وأبصرت البغال مربّطات	به من بعد أزمنة حسان
يُعزُّ على أبي ساسان كسرى	بموقفك في هذا المكان
شربت على تذكر عيش كسرى	شرابا لونه كالزعران
ورحت كأنني كسرى إذا ما	علاه التّاج يوم المهرجان

1-ينظر: مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص20.

2-ابن المعتز: طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت. ص119.

3-ينظر: مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في الشعر العباسي، ص22.

4- المرجع نفسه، ص54.

ويقول في الخمر⁽¹⁾:

اسقني واسقي خليلي	في مدى الليل الطويل
قهوة صهباء صرفا	سُبُتُّ من نهر بيل
لونها أصفر صافٍ	وهي كالمسك القـتيل
في لسان المرء منها	مثل طعم الزنجـبيل
ريحها ينفح منها	ساطعا من رأس ميل
من نيلٍ منها ثلاثا	نسي منهاج السبـيل
فمتى نال خمسا	تركته كالقـتيل

والحسن بن مطير (ت165هـ) الذي يعد من شعراء هذه المرحلة وكان قد اشتهر بالغزل العذري، وإظهار معاني العفة، وكان من المجددين في شعر الحكمة، واعتبر من الأوائل الذين وصفوا الروض⁽²⁾، يقول واصفا الروض⁽³⁾:

أين أهل القباب بالدهناء	أين جيراننا على الإحساء
جاورونا والأرض ملبسة نو	ر الأقاحي تُجَادُ بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد	تضحك الأرض من بكاء السماء

يأتي على رأس هؤلاء شاعران مجيدان في نطاق الفحولة من حيث ثبات الأقدام على الأرض الأموية زمانا وفنا، ومبدعان في نطاق الانتقال بالصور الشعرية المستحدثة هما إبراهيم بن هرمة، وبشار بن برد فهما يمثلان المعبر الذي انتقل به الشعر من الأموية إلى العباسية، ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة، ففي المديح كانا يقفان على الأرض الأموية من حيث بناء القصيدة، ومن حيث المعاني أتيا بكل عجيب وابتدعا ضروب القول وتوليد المعاني التي سار على نهجها المحدثون، وفي الهجاء كان ابن هرمة

1-المرجع نفسه، ص52.

2-ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص28.

3-مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص72.

يوجع ولا يفحش ويؤلم⁽¹⁾، ولا يتدنى إلى الهاوية الكريهة التي كان يتردى فيها بشار بن برد، ولذلك نجد متعة في قراءة هجاء ابن هرمة، لكن نتقزز ونحن نقرأ هجاء بشار إلا في بعض القصائد القليلة التي يبتعد فيها عن ذكر فواحش الألفاظ، وجارحات المعاني⁽²⁾.

ومن الناحية السياسية نجد ابن هرمة فاطمي المذهب في حين بشار أموي المشرب وكلاهما مدح العباسيين ونالا عطاءهم⁽³⁾ واصطنعا الحكمة فجاءت عذبة في شعرهما واستقرت أبياتها في استمالة قلوب الناس، أسهم كل منهما في قول الغزل، إلا أن غزل ابن هرمة غنائي وجداني رفيع في مجمله، أما بشار فجمع في غزله بين الفاتن الرفيع والغث الساقط، وربما يعترف بذلك لما يقول: "إنما الشاعر المطبوع كالبحر مرة يرمي صدفه، ومرة يقذف جيفه". مزج الشاعران رقة البداوة وصفاءها ببهجة الحضارة، غير أن بشارا أغرق نفسه في دنيا الحضر على عكس ابن هرمة الذي كان بمنأى عن السقطات التي تردى فيها بشار وبخاصة الأقوال التي جنحت به إلى الزندقة.

انظر كيف يقتني بشار الكلمات البسيطة العذبة الرقيقة المحببة من مسامع عامة الناس دون تبذل لغوي، بل بتطويع اللغة، وببحر راقص قابل للغناء والطرب في عصره الطروب، وبشعر حضري ناعم يهدده على المكشوف، لا حاجة للشكوى من الحرمان، ونقض العهد والهجران، والتلميح والرمز، فبشار أول من جعل الأذن تعشق قبل العين أحيانا⁽⁴⁾:

يا قوم أدني لبعض الحيّ عاشقةً	والأذنُ تعشق قبل العينِ أحياناً
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة	أضمرت في القلب والأحشاء نيرانا
فاسمعيني صوتاً مطرباً هزجاً	يزيد صبا محبا فيك أشجانا

1-ينظر: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص25.

2-المرجع نفسه ، ص24.

3-عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص227.

4-بشار بن برد: الديوان، ج 4 ، ص194.

قالوا بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كاناً

4- خلاصة:

سار شعر مخضرمي الدولتين على مراحل: بداية من مرحلة المحافظين المتمسكين بالأرضية الفنية الأموية وخصائصها، ثم تليها المرحلة التي تقف بجسمها على الأموية وتطل برأسها على العباسية، ومرحلة تقف بنصفها على الأموية ونصفها الآخر على العباسية، حيث ثبات الأقدام على الأرض الأموية زماناً وفناً، ومبدعة في نطاق الانتقال بالصور الشعرية المستحدثة التي شهدت تطور القصيدة العربية مقارنة بالقصيدة الجاهلية.

المحاضرة السادسة: سمات المجتمع العباسي وأثرها على الشعر.

مخطط المحاضرة:
1-أهم السمات البارزة في المجتمع العباسي.
2-المجتمع الجديد.
3-الشعبوية.
4-الزندقة.
5-المجون.
6-الخمريات.
7-خلاصة.

-أهم السمات البارزة في المجتمع العباسي.

1-المجتمع الجديد:

يختلف المجتمع العباسي في تكوينه وثقافته وعاداته عن المجتمعات التي قبله، والمجتمع الجديد هو المجتمع الذي نشأ أبنائه في ظل العباسية بكل ما تميزت به من سلوك ثقافي جاء نتيجة لتغير المجتمع من عربي السلوك إلى فارسي السمات، ومن بدوي العادات إلى مدني المنزع والمسلك، فالمدينة بتزاحم ساكنيها وتعدد أجناسها وكثرة الغرباء وضعف الرابطة بينهم؛ كل هذا يتقبل أسباب الانحراف ومظاهر التحلل ما يرفضه الريف المستمسك بعاداته المترابط العادات والجماعات.

وفي ظل العاصمة الجديدة بغداد، وفي ظل ثقافات وافدة غريبة على العرب، وفي ظل حكم عباسي مستند إلى النفوذ الفارسي، كان ذلك إيذانا بميلاد مجتمع جديد ذي عادات جديدة بعضها أصيل وبعضها الآخر ناشئ، وأفكار جديدة أقلها حسن مقبول

وأكثرها سيئاً مرذول⁽¹⁾. وفي ظل هذا العصر الجديد يتصدر مجالس الشعر جماعات من الشعراء أكثرهم من غير العرب أفسدتهم البيئة الجديدة وجعلتهم يقبلون من العادات ما يستقبحها قومهم، ويتبعون من السلوك ما يتنافر مع تقاليدهم ومروءتهم، جعلوا الخلاعة شعاراً والمجاهرة بالفاحشة عنواناً والتحلل الخلقي ديدناً والابتعاد عن القيم مقصداً والخوض في الزندقة تحرراً.

ومن هؤلاء الشعراء: والبة بن الحباب، وأبان اللاحقي، وعمرو الخاركي، ومطيع بن إياس، وصالح بن عبد القدوس، ويحيى بن زياد الحارثي، وعلي بن الخليل الشيباني، وأبو نواس، وقبلهم حماد الراوية، وحماد عجرد، وبشار بن برد. فقد أشاعوا الخمر ومجالس الخنا وإعلان معاشر الغلمان، والتطرف بإعلان الإلحاد والسخرية من الدين، فضلاً عن نمو الشعوبية والحملة على العرب وتحقيرهم، والفخر بالفرس والتعصب لهم.

2- الشعوبية:

هي جماعة من أصل أعجمي كانت تتعصب للعجم وتفضلهم على العرب، ولا شك أنها كانت من حملة الروح الفارسية إلى اللغة العربية، وكذلك كان الزنادقة الذين كان يُتهم بمذهبهم بعض الأدباء والشعراء كابن المقفع وبشار...ويمكن حصرها في القول هي التعصب الفارسي ضد العرب؛ قد كشف عن وجهها الكريه الحكم العباسي المعتمد على ركائز فارسية⁽²⁾.

إذن هي نزعة ظهرت في العصر العباسي تتكرر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحط منهم، والشعوبيون قوم متعصبون على العرب لا يرون لهم فضلاً على غيرهم من الأمم إن لم يكونوا أقل منهم شأنًا ومنزلة⁽³⁾ ومن أخطر شعراء الشعوبية علي بن الخليل

1-مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص171.

2-المرجع نفسه، ص174.

3-إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، مادة(ش.ع.ب).

وأبو نواس وإسحاق بن حسان الخريمي ومن قبلهم كان بشار بن برد. يقول علي بن الخليل⁽¹⁾:

يا أيها الراغب عن أصله ما كنت موضع تهجين
متى تعرّبت؟ وكنت امرأً من الموالى صالح الدين
لو كنت غدا صرت إلى دعوةٍ فزت من القوم بتمكين
لكفّ من وجدي ولكنني أراك بين الضّب والنّون

يقول أبو نواس⁽²⁾:

قل لمن يبكي على رسمٍ درّس واقفا ما ضرّ لو كان جلّس
اترك الرّبع وسلمى جانباً واصطبج كرّخيّة مثل القَبَس
بنت دهر هجرت في دنها ورمّت كل قذاة ودنّس
كدم الجوف إذا ما ذاقها شاربٌ قطّب منها وعَبَس

3-الزندقة:

هي موقف مضاد من العرب في حاضرهم بعد حملهم رسالة الإسلام ورفعهم راية الجهاد في سبيله، وكانت الزندقة تعمل إلى جانب الشعوبية على هدم المجتمع وتشويه قيمه، وقد اتهم الكثيرون بالترويج لها منهم من سلم من العقاب أمثال: مطيع بن إياس ووالبة بن الحباب، ويحي بن زياد الحارثي، ومنهم من قتل كابن المقفع، وبشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العرجاء، وحماد عجرد⁽³⁾. إن عمرا الخاركي الماجن ينكر البعث ويعلن زندقته في شعره بقوله⁽⁴⁾:

قد كنتُ أرجوك إلى سلوةٍ فطال في حبسِ الضنّى لبثي

1-مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص176.

2-أبو نواس: الديوان، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي، دار الشروق العربي، بيروت، ط1، 1992، ص416.

3-ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة، الموصل، العراق، دط، 1989، ص62.

4-مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص173.

وعشتُ كالمغرور في دينه يوقنُ بعد الموتِ بالبعثِ
وهذا أبو نواس يعلن زندقته في عرض حياته ولم يعد إلى دينه إلا حين دب في جسمه
دبيب الموت. يقول⁽¹⁾:

أراني مع الأحياء حيا وأكثرني على الدهر ميت قد تخرمه الدهرُ
فما لم يمتّ مني بما مات ناهضُ فبعضي لبعضي دون قبر البلى قبرُ
فيا ربّ قد أحسنتَ عودا وبدأةً إليّ فلم ينهض بإحسانك الشكرُ
فمن كان ذا عذرٍ لديك وحجةٍ فعذري إقرارى بأن ليس لي عذرُ
وأبو العتاهية الذي عرف بالزهد والإقبال على الآخرة اتهم بالزندقة من لدن بعض
معاصريه لجرأته على بعض المعاني⁽²⁾. يقول في هذا الصدد⁽³⁾:

كأن عُتَابَةً من حُسْنِهَا دميةٌ قَسِيٍّ فتنت قَسَاها
يا ربّ لو أنسيتَنيها بما في جنّة الفردوس لم أنسها

4-المجون:

لم يشهد تاريخ المجتمع الإسلامي ما شهدته العصر العباسي من صور للمجون
والانحلال والتهتك، فقد كان الشعراء يلتقون في الأماكن العامة ويحاول كل واحد منهم أن
يستأثر بالمجموعة في بيته أو بستانه حيث يخلعون العذار ويعاقرون من ضروب الشراب
ويمارسون من أسباب الانحراف ما شاءوا، ويقوم كل منهم بوصف ما يقدم من أنواع
الإغراء ويصاغ ذلك في قوالب شعرية، ومن يقدم مغريات أكثر في شعر أملح يفوز
بالعصبة في بيته.

وكثيرا ما كانت بعض الشاعرات الماجنات تشارك في هذه الندوات على أنهن لم
يكن من الحرائر، وإنما كن من القيان وفي مقدمة هؤلاء عنان الجارية. ولعل مجتمعا

1-أبو نواس: الديوان، ص390.

2-مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص172، 173.

3-أبو العتاهية: الديوان، ص234.

عربيا لم يعرف اللهو والمجون كما عرفه المجتمع العباسي في العصر الأول فقد غرق الناس في الكوفة والبصرة وبغداد في الحضارة الفارسية وما يطوى عليها من خمر وغناء⁽¹⁾.

وهناك ربط بين المجون والزندقة والشعبوية خاصة أنه وجد الكثير من الشعراء الكبار الماجنين من الموالي، بل من المتعصبين ضد العرب والذين قادوا الحملة الشعبوية التي سعت في العصر العباسي إلى هدم مقومات المجتمع الإسلامي⁽²⁾.
إن القراطيبي الشاعر الكوفي صديق أبي نواس وأبي العتاهية يدعو أصحابه من المجان إلى بيته ويغريهم بكل أسباب المحرمات⁽³⁾. يجمع ذلك في قوله⁽⁴⁾:

ألا قوموا بأجمعكم	إلى بيت القراطيبي
فقد هيأ لنا النزل	غلام فارة طوسي
وألواناً من الطير	وألواناً من العيس
وقينات من الحور	كأمثال الطواويس

ومازال هذا اللون الشعري مستشريا ويزداد إعجاب الناس به حتى احتل مطالع القصائد عند المادحين من أهل المجون، وكان بشار بن برد في البصرة لا يتغنى بالخمرة فحسب، بل أكثر ما يتغنى به وصف ما يدور بين الرجل والمرأة من علاقات حسية⁽⁵⁾. بل وصلت به المجاهرة باللذة وارتكاب المحرمات إلى تحليل القبله، وهذا اتجاه خطير في المجون شهده العصر العباسي، يقول في ذلك⁽⁶⁾:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

1-ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1983، ص100.

2-ينظر: مارون عبود: أدب العرب، ص182.

3-مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص183.

4-المرجع نفسه، ص183.

5-ينظر شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص103.

6-بشار بن برد: الديوان، ج2، ص85.

قالوا: حرام تلاقينا فقلت لهم ما في التزام ولا في قبلة حرج
ويقول أبو نواس في نفس السياق⁽¹⁾:

لست بالتارك لذا ت الندامى للصلاح
قل لمن يبغي صلاحه بعت رشدي بطلاحي
ظفرتُ كف أديب باع برا بجناح
أطيب اللذات ما كا ن جهارا بافتضاح

فهو لا يكتفي بالمجاهرة ولكن يؤكد إصراره على المضي في الفساد والغى ويبدو أنه سار على نهج بشار وعلى مذهب المجون في الدعوة للفسق والفجور، وكثيرا ما يمزج في شعره بين الخمر والمجون.

5-الخمريات:

هي فنّ أدبي قديم عرف في الشعر الجاهلي، ويعد الأعشى أبرز الشعراء إطالة في وصف الخمرة، ولما جاء الإسلام حرمت، وقلّت معاقرتها إلا من نفر قليل مثل أبي محجن الثقفي الذي لم يسلم من الحد عدة مرات، وفي عصر بني أمية قرع كؤوسها عدد من الشعراء كالنابغة الشيباني والقطامي والأخطل والوليد بن يزيد.

ولما أقبل العصر العباسي بترفه ولهوه ومجونه وانفتاحه على أقوام كثيرة شاعت الخمرة وتوسعت مجالسها وكثرت حاناتها وأنديتها وأخذ الشعراء يصفونها بصورة لم تحدث من قبل⁽²⁾. فقد انتشر شعر الخمر في هذا المجتمع، وأخذ أشكالا متنوعة وأساليب ناعمة وموضوعات مستحدثة ومعاني طريفة، واتسع خيال الشعراء المعاقرين لها للكثير من آثارها على مشاعرهم، والخمر ليست غريبة على الشعر العربي، فقد قال فيها الأعشى شعرا رائقا في الجاهلية، وتعامل معها الأخطل التغلبي في عصر بني أمية، ثم كان الملك الأموي

1-أبو نواس: الديوان، ص158.

2-ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، ص62.

الوليد بن يزيد مفرطاً في شربها مبدعاً في وصفها حتى عد رائد شعره⁽¹⁾ ثم جاء ابن هرمة وقال في التعلق بها ما لم يقله شاعر قبله⁽²⁾:

أَسْأَلُ اللَّهَ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي وَصِيَاخَ الصَّبِيَّانِ يَا سَكَرَانُ

وقد كان قصب السبق معقوداً على ناصية أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي الشيص وأبي الهندي، فأبو نواس تعشّق الخمر إلى الحد الذي جعله يوقف شعره عليها فوصفها بالقدم. يقول في إحدى قصائده⁽³⁾:

هَذَا قَنَاعُ اللَّيْلِ مُحْسُورٌ	فَاشْرَبْ فَقَدْ لَاحَ التَّبَاشِيرُ
سُلَاقَةٌ لَمْ تَعْتَصِرْهَا يَدٌ	وَلَمْ تُدْنِسْهَا الْأَعَاصِيرُ
تَنْزُؤُ إِذَا الْمَاءُ تَرَاءَى لَهَا	كَمَا رَمَى بِالْشَرِّ الْكَيْرُ
كَرِيمَةٌ أَصْغَرَ آبَائُهَا	إِنْ نُسِبَتِ كَسْرَى وَسَابُورُ
طَوَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ أَيَّامَهُ	وَعُمِّيَتْ عَنْهَا الْمَقَادِيرُ
يَسْقِيكَهَا مُخْتَلَقٌ مَا جُنَّ	مَعَوِّذٌ لِلْسَّقْيِ نَحْرٌ رِيْرُ

هذه السمات وغيرها انعكست على الشعر العباسي وأصبحت تمثل المرحلة العباسية إضافة إلى صور أخرى طبعت الحياة الاجتماعية والثقافية عموماً نذكر منها على سبيل الإيجاز.

- 1- كثرة الجواري والغلمان.
- 2- مجالس الشرب والغناء.
- 3- التأنق في الفنون الحضرية.
- 4- انتشار المدارس والعلوم.
- 5- نشوء حركة زهدية مضادة لتترف العصر.

1- مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 195.

2- المرجع نفسه، ص 195.

3- أبو نواس: الديوان، ص 290.

خلاصة:

اتسم المجتمع العباسي الجديد بسمات جعلته يختلف عن غيره من المجتمعات السابقة في تكوينه وتركيبه وثقافته وحتى عاداته، فانقلب من مجتمع عربي السلوك إلى فارسي السمات، ومن ريفي العادات إلى مجتمع متمدن يتزاحم فيه السكان من مختلف الأجناس، ويكثر فيه أسباب الانحلال والترف والمجون، وكثير من الشعراء ممن علا كعبهم في ميدان الشعر والإبداع هم من أبناء هذا المجتمع الجديد الذي ارتبطت فيه الزندقة عندهم بالظرف والتفكه.

وكان منهم من صنع الزندقة حتى يقال عنه ظريف. ومن سمات هذا العصر أيضا ظهور التعصب الفارسي ضد العرب، مما زاد المجتمع تمزقا نظرا لاتساع الهوة بين العرب والعجم، هو مجتمع أيضا شاع فيه اللهو والمجون، واستمرت فيه بيوت القيان، وكثرة الحانات التي انتشرت في بغداد والبصرة والكوفة وغيرها من حواضر البلاد، حتى أصبح الناس يفرطون في الشراب واللهو والمجون، وهي سمات سادت المجتمع وانعكست على إبداع الشعراء وتأثروا بها وظهرت في أشعارهم. هذه السمات وما يصاحبها من دخائل أدت دورها أيضا في النيل من تماسك المجتمع.

المحاضرة السابعة: من الظواهر الشعرية في العصر العباسي: شعر الزهد والتصوف.

مخطط المحاضرة:
1- الزهد: المصطلح والمفهوم.
2- من أعلام الزهد.
3- أبو العتاهية ودوافع الزهد في شعره.
4- موضوعات الزهد عنده
5- التصوف: المصطلح والمفهوم.
6- من أعلام شعر التصوف: -رابعة العدوية- ابن الفارض- ابن عربي.
7- خلاصة.

أولاً - الزهد.

يعني لفظ الزهد في المعاجم اللغوية العربية الإقلال أو القلة، فالشيء الزهيد هو الشيء القليل، والزهد في مقابل الحرص على الدنيا يقول الله تعالى: {وكانوا فيه من الزاهدين} (سورة يوسف: الآية 20) أي اشتروهم على زهد فيه والزهد الحقيق، وزهد فيه وعنه زهدا وزهادة أي رغب عنه وأعرض وتركه لاحتقاره لقلته، والتزهيد في الشيء خلاف الترغيب فيه، والزهد القليل، والمزهد قليل المال، ورجل زهيد يقنعه القليل⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح الزهد انصراف عن الدنيا وملذاتها والتمسك بالتقوى والعمل الصالح مع الكسب والعمل، والزهد ليس وليد العصر الإسلامي بل كان له وجود في الديانات الأخرى كالهندية القديمة، وكان أيضا منتشرا بين اليهود والمسيحيين⁽²⁾. والزهد هو ترك التعلق بالدنيا وعدم الركون إليها، والإقبال على الآخرة رغبة في ثواب الله فتصبح الدنيا في يد العبد وليست في قلبه، فلا يفرح بشيء منها أقبل ولا يحزن بشيء منها أدبر، والإسلام

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة (ز.ه.د).

2- ينظر: أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط13، 1980، ص79.

لا يدعو إلى زهد يترك فيه الناس الدنيا كلياً، وينقطعون إلى الآخرة ولا يرغبهم في الآخرة ليقبلوا عليها كلياً ويتركوا الدنيا؛ بل هو دين يدعو إلى الوسطية والاعتدال وإلى الجمع بين خير الدنيا والآخرة يقول الله تعالى: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين} (سورة القصص: الآية 77) .

ليس الزهد رفضاً للدنيا ولبس الغليظ من اللباس كما يذهب بعض الناس، فقد كان سليمان وداود -عليهما السلام- ملكان وهما مع ذلك من أزهد أهل زمانهما، وكان محمد -صلى الله عليه وسلم- من أزهد الخلق، وكذلك كان الخلفاء وأغنياء الصحابة والأئمة من بعدهم، كعبد الله بن المبارك والليث بن سعد من أصحاب رؤوس الأموال وهم مع ذلك من أزهد الناس⁽¹⁾.

الزهد ظاهرة إسلامية استمدت أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وترتبط بالتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، وهو بهذا لا علاقة له بالزهد في المعتقدات الأخرى كالنسيحية والبوذية، حيث الانقطاع عن الدنيا بشكل تام وترك الزواج والتكسب، وهذا معارض لتصور الإسلام الذي يدعو إلى قيم الطهر والعفاف وتهذيب النفس والإقبال على الآخرة دون أن ينسى الإنسان نصيبه من الدنيا. وقد وصاغ الشعراء قصائد في الوعظ تدعو الناس إلى ترك الحياة ومتعتها والعيش للآخرة.

من أعلام شعر الزهد:

أبو العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم بن سويد وكنيته أبو إسحاق ولقبه أبو العتاهية من قبيلة عنزة بالولاء وأمه من موالى بني زهرة بنت زياد المحاربي، ولد سنة 130هـ قبل سقوط الدولة الأموية بعامين بالقرب من الكوفة في بلدة تسمى عين التمر من أسرة فقيرة، وأبو العتاهية لقب غلب عليه، وسبب ذلك أن يوماً قال له المهدي: أنت إنسان متحذلق

1- ينظر: ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1339هـ، ج2، ص 13.

معته فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه، وقد لقب بذلك لأنه كان يحب الشهرة والمجون والتعته، توفي سنة 213هـ ببغداد⁽¹⁾. وكان أبو العتاهية من الشيعة الزيدية، وهي عقيدة لا تتجه إلى الطعن في الصحابة كالشيعة الإمامية، ونفى المستشرق نيكسون تشيعه استنادا إلى نص شعري له يذكر فيه أن أهل التقى هم أبو بكر عمر وعثمان وعلي يقول فيه⁽²⁾:

بَلْ أَيْنَ أَهْلُ التَّقَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ جَاءَتْ بِفَضْلِهِمُ الْآيَاتُ وَالسَّوَرُ

اعْدُدْ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ أَوْلَهُمْ وَنَادِ مَنْ بَعْدَهُ فِي الْفَضْلِ أَبَا عَمْرٍ

وَعَدَ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ أَبَا حَسَنِ فَإِنَّ فَضْلَهُمَا يُرَوَّى وَيَذْكَرُ

يعد من الشعراء العباسيين عاش فترة من حياته في اللهو والمجون والشرب، وعرف بكثرة الغزل إلى أن تاب وأناب إلى الله، وقال الزهد واتخذة مذهبا له في الشعر.

دوافع ظهور شعر الزهد في شعره:

أ-دوافع اجتماعية: تعد نزعة الزهد رد فعل طبيعي لاتساع دائرة الانحراف التي استهوت كثيرا من الناس، وللانغماس الذي شهده العصر في متع الحياة واللهو والمجون، فظهر اتجاه الزهد كحركة إصلاحية في مقابل الحياة التي طغت عليها المادية، واتجهت طائفة الزهاد إلى الزهد والتقشف، وأداروا ظهورهم إلى الحياة وملذاتها، ومضوا يدعون الناس إلى عالم الروحانيات ويذكرونهم بالموت وما وراءها من حياة باقية خالدة يحاسب فيها المرء على ما قدمت يداه في حياته الدنيا⁽³⁾.

ب-دوافع سياسية: كان للحياة السياسية المضطربة التي عاشها المجتمع الإسلامي من صراع بين الأمويين والعباسيين حول الحكم، وما شهدته من معارك ضارية أزهدت فيها الأرواح وتناثرت الأشلاء، وسالت فيها الدماء، كل ذلك يصور مشهدا قاتما تأثرت به النفوس في تلك الفترة، وكل هذه الصور المؤلمة لمصير الإنسان وما عاناه من مظاهر

1-ينظر: الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص3،4،5.

2-أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دار الملاح للطباعة، دمشق، سوريا، دط، دت، ص154.

3-يوسف خليف: تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دت، ص35.

الظلم والموت التي ترسبت في أذهان الناس الشيء الذي ترك البعض ينسحبون من هذه الحياة وينزعون نزعة الزهد، وقد عاش أبو العتاهية هذه الظروف بالعراق وتأثر بها.

ج-دوافع ذاتية: تذكر المصادر أن أبا العتاهية أحب فتاة تسمى عتبة، وكانت جارية هارون الرشيد لكنها رفضت الزواج منه⁽¹⁾ فزهد وكره الدنيا وقد وقف متأملاً حياته فوجدها عابثة خالية من الصرامة والجدية، ووجد ما قام به يبتعد كل البعد عن الفخر، فتعززت لديه فكرة تفاهة الدنيا وحقارتها، فنحا منحى العزلة يعبر فيها عن معاني الزهد⁽²⁾.

موضوعات الزهد عند أبي العتاهية:

أكثر أبو العتاهية من شعر الزهد فذكر الموت والفناء والثواب والعقاب، ودعا إلى الاكتفاء بالقليل وبالقناعة والتخلق بالأخلاق الكريمة، والانصراف عن الدنيا ومتاعها والتفكير فيما بعد الموت وبظلمة القبر ووحشته، وهو في ذلك متشائم حزين، ومن أهم موضوعات الزهد نذكر:

أ-الموت: الموت هي ذلك المصير المحتوم للإنسان يوظفه الشاعر للتخويف والزجر وتذكير بها قلوب العصاة والناس عموماً، فيخاطب به الإنسان الذي غفل الموت وأغرته الحياة، يقول في ذلك⁽³⁾:

أنساكَ مَحْيَاكَ المَمَاتَا فطلبتَ في الدُّنيا الثَّباتَا
أوثقتَ بالدنيا وَأَنْتَ تَ ترى جماعتَهَا شتاتَا
وعزمتَ منك على الحيا ة وطولها عَزْماً بَتَاتَا
يا مَنْ رَأَى أَبْوِيهِ فِيْهِ مَنْ قَدْ رَأَى كَانَا فَمَاتَا
هل فِيْهِمَا لَكَ عِبْرَةٌ أَمْ خَلْتَ أَنَّ لَكَ انْفلاتَا

1-ينظر: المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط5، 1982، ج3، ص367.

2-ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العرب العصر العباسي الأول، ص249.

3-أبو العتاهية: الديوان، ص93.

ويقول في مقطوعة أخرى⁽¹⁾:

كلُّنا في غفلةٍ والـ — مُوتٌ يغدو ويـروحُ
لبني الدنيا من الدُّنْـ — يا غبوقٌ وصبوحُ
نُحْ على نفسك يا مسـ — كينُ إن كنتَ تتوَحُ
لستَ بالباقي ولو عمَّ — رُتَ ما عمَّرَ نوحُ

ب-الدنيا: يحتقر الشاعر أبو العتاهية الدنيا ويعظم الآخرة ويحذر من غرورها قائلاً⁽²⁾:

نصبتُ لنا دونَ التفكيرِ يا دُنْـ — أمانِيَّ يَفْنَى العُمُرُ منْ قبلِ أنْ تَفْنَى
متى تَنقُضي حاجاتُ منْ ليسَ واصلاً — إلى حاجةٍ حتَّى تكونَ لهُ أُخْرَى
لكلِّ امرئٍ فيما قضى اللهُ خطـ — من الأمرِ يَسْتوي فيها العبدُ والمؤلى
وإن امرأً يسعى لغيرِ نهايـ — لمنغمسٍ في لجةِ الفاقةِ الكُبرى

ج-الوعظ والإرشاد: يقول أبو العتاهية⁽³⁾:

أنلَّهُو وأيَّامنا تذهبُ — ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ
عجبتُ لذي لعبٍ قد لها — عجبْتُ ومالي لا أعجبُ
أيلَّهُو ويلعبُ منْ نفسهُ — تموتُ ومنزلُهُ يَحْرَبُ
نرى كلَّ ما ساءنا دائماً — على كلِّ ما سرَّنا يَغْلِبُ

ثانياً - التصوف:

لم يخف الباحثون وقوع خلاف كبير حول التصوف كلفظ وأصله ومصدره واشتقاقه، فقد حاول المهتمون بالتصوف من العرب والمستشرقين الوصول إلى المعنى الأصلي له، فقليل: إنه اشتقاق من الصوف وقيل: إنه من الصفاء واعتبره البعض نسبة إلى أهل الصفة

1-المصدر السابق، ص117.

2-المصدر نفسه، ص21.

3-المصدر نفسه، ص51.

ونسبه البعض إلى الصف الأول، وقد ذهب الإمام أبو القاسم القشيري إلى أن اسم التصوف لم يشهد له من حيث العربية قياس أو اشتقاق والأظهر فيه أنه لقب⁽¹⁾.

فالأمر مختلف فيه منذ القديم، فالقول بأنها نسبة أهل الصُفة فهذا القول يعدم صحة النسبة؛ فإن النسبة من الصُفة صُفِّي، وقيل من الصف المتقدم بين يدي الله، وقيل: من الصفة من خلق الله، ولو كان كذلك لقليل صفوي، وقيل من الصفاء، ولا يصح لأنه لو كان كذلك لقليل صفائي، وقيل نسبة إلى صوفة بن بشر، وهذا القول يصح نسبة، لكن كثيرا من هؤلاء النساك يجهلون هذه القبيلة، ولا يرضى أحدهم نسبة لقبيلة في الجاهلية، وقيل من الكلمة اليونانية (سوفيا) التي تعني الحكمة، وهو رأي البيروني، وقيل نسبة إلى الصوف وهو غالب لبس هذه الطائفة فنسبوا إلى لبستهم على حد رأي ابن تيمية⁽²⁾.

ومن الناحية الاصطلاحية يعرف التصوف بأنه رحلة روحانية تعتمد على الخلوة والتجلي الرباني أو اللقاء العرفاني المتوج بالوصال والكشف الإلهي، ويعني هذا أن المريد السالك طريق التصوف كي يحقق مراده إلى الحضرة الربانية، عليه أن يتجرد من أوساخ الدنيا ويتوب إلى الله ويتطهر من كل أدران الجسد، ويتعد عن ملذات الدنيا وشهواتها ومتعها الزائفة الواهمة، وبعد ذلك يختلي بالله مدة طويلة، وبعد الاختلاء والمجاهدات الرياضية والوجدانية يصل إلى الكشف الرباني، وإذا أراد المريد أن يصبح قطبا أو شيخا أو يصل إلى المعشوق الرباني لابد أن يسافر في معراج النوراني عبر مجموعة من المقامات المتدرجة والأحوال الموهوبة حتى يتحقق له الوصال والتجلي الرباني. والتصوف نزعة من النزعات الوجدانية ورغبة روحانية تعتمد على العكوف على العبادات والانقطاع إلى الله

1-ينظر: منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، ص115.

2-ينظر: عبد المحسن علي وهبة: الزهد عند الصوفية بين الاعتدال والغلو، المجلة العلمية بأسسيوط، كلية اللغة العربية،

تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة⁽¹⁾.

شعر التصوف:

اتخذ الصوفيون القول الشعري للتعبير عن أسرارهم، فخلفوا تراثا كبيرا تميز بالخيال والرمز وتنوع الموضوعات، والتصوف شعر يلتزم فيه شعراء الصوفية بذكر أوردتهم ومجاهداتهم وأذكارهم بأسلوب بسيط وبألفاظ سهلة ومعان واضحة بعيدا عن الإفراط في الرموز والإشارات. ومن رواده أبو مدين شعيب التلمساني (ت594هـ) وينقسم شعر التصوف إلى شعر التصوف السني.

وشعر التصوف الفلسفي يعتمد فيه شعراء الصوفية الإشارات والرموز والإيحاءات للتعبير عن اتجاههم في الإشراق ووحدة الوجود والوحدة المطلقة في قالب من المحسنات البديعية والبيانية، وعادة ما تميل إلى الغموض، وكثيرا ما تغلب عليه عاطفة الحب الإلهي التي كانوا يرتشفون منها الغياب عن الوعي (السكر) فضلا عن توظيفهم لألفاظ من معجم الخمریات والغزل للدلالة على حقائقهم الصوفية، واشتهر الشعر عندهم بموضوعات الغزل والخمر يغلب عليها الطابع الرمزي، ربما لكتمان أمورهم عن العامة من الناس، وللتخفي عن الفقهاء والحكام، لذلك جاء شعرهم مفعم بأسلوب الرمز معبرا عن حقائقهم الصوفية بأساليب المجاز المختلفة.

أعلام شعر التصوف:

رابعة العدوية(ت135هـ):

هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة كانت من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة توفيت سنة

1- ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2001، ص611.

خمس وثلاثين ومائة 135 هجرية⁽¹⁾، كانت رابعة تنشد المقطوعات الشعرية في الحب الإلهي، والحبیب الذي تتغنى به وتتأجیه هو الله عز وجل الذي تقبل إليه وتخلو إليه، فلا تبرح بابه مهما طال بها الانتظار لأنه مؤنس لروحها وأمل حبها، وهي في سعيها المتلهف لحبه تبتغي وجهه الكريم وحده.

وبعض الشعراء الزهاد بدأوا حياتهم خلعاء، ثم أدركتم صحوة في ضمائرهم فتأبوا وأنابوا إلى الله وانقطعوا للعبادة والتهجد، وعاشوا حياتهم زاهدين ومتصوفين، ورابعة العدوية عرفت حياتها الكثير من اللهو والمجون ثم أفاقت من غفلتها، فظهرت روحها مما شابها من الإثم واعتزلت الناس، وعكفت على نفسها عابدة متهجدة. ولعل المظالم التي أحاطت بها قادتها إلى التفكير في مصيرها، وقادها هذا التفكير نحو الزهد في كل ما في الحياة الدنيا فانطوت على نفسها وأخذت تشتاق إلى هوى أكثر تماسكا من الحب الدنيوي واندفعت إلى المحبة الإلهية، تقول في هذا الحب⁽²⁾:

يا سُروري ومُنيتي وعِمادي	وأنيسي وعدَّتِي ومُـرادي
أنتَ روحُ الفؤادِ أنتَ رجائي	أنتَ لي مؤنسٌ وشوقك زادي
أنتَ لولاك يا حياتي وأنسي	ما تشئتُ في فسيحِ البلادِ
كَمْ بدتُ مِنَّةً وكم لك عندي	من عطاءٍ ونعمةٍ وأيادي
حُبُّكَ الآنَ بغيتي ونعيمي	وجلاءٌ لعينِ قلبي الصَّادي
ليس لي عندك ما حييتُ بِراحٍ	أنتَ مِنِّي ممكَّنٌ في السَّوادِ
إن تكن راضيا عليَّ فإنِّي	يا مُنى القلبِ قد بدا إسعادي

بدأت رابعة العدوية تستشعر الحب الإلهي الذي كان مسبوقا بالتوبة، فهي قد فتحت صفحة جديدة في حياتها مغايرة تماما لصفحتها السابقة وهذه الصفحة تمزج بين القلق والاستغفار

1- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، ط1، 1948، ج5، ص290.

2- عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1962، ص24.

والشوق إلى المحبوب الذي اختارته لنفسها، فذكرت طريقها للوصول إلى مبتغاها وهو التهجد والقيام، تقول في قصيدة لها⁽¹⁾:

راحتي يا إخواني في خلوتي	وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضاً	وهواه في البرايا محنّتي
حيثما كنتُ أشاهدُ حسنة	فهو محرابي إليه قبّلتني
إن أمتُ وجدًا وما نمتُ رضا	واعنائني في الورى واشقوتي
يا طيب القلب يا كلّ المننى	جدّ بوصلٍ منك يشفي مُهجّتي
قد هجرتُ الخلقُ جمعاً أرّجني	منك وصلّاً فهو أقصى مُنيّتي

وتقول في قصيدة أخرى⁽²⁾:

كأسي وخمري والنديم: ثلاثة	وأنا المشوّقة في المحبة رابعة
كأس المسرة والنعيم يديرها	ساقى المدام على المدى متتابعه
فإذا نظرتُ فلا أرى إلاّ له	وإذا حضرتُ فلا أرى إلاّ معه
يا عاذلي أني أحبُّ جماله	تا الله ما أذني لعذلك سامعه

تستخدم رابعة العدوية في هذه المقطوعات أسلوب الرمز، شأنها في ذلك شأن شعراء التصوف، فالكأس التي تتحدث عنها هي كأس المحبة، والخمر التي تريدها ليست خمر الدنيا المحسوسة ولكنها الخمر التي أعدها الله لعباده المتقين في جنات النعيم، كما ترمز أيضاً إلى الانعطاف والاتحاد والوجد. وتقف رابعة في محراب الحب الإلهي تتاجي الحبيب، وقلبها يتلظى شوقاً إليه قائلة⁽³⁾:

وزادي قليل ما أراه مبلّغي	أللّزاد أنكي أم لطلول مسافتي
أتحرّفتني بالنار يا غاية المنى	فأين رجائي فيك أين مخافتي

1-المرجع السابق، ص52.

2-المرجع نفسه، ص173.

3-المرجع نفسه، ص130. وينظر: الأصفهاني: الأغاني، ج3، ص127.

عمر بن الفارض (ت632هـ):

هو أبو حفص عمر بن الحسن علي بن المرشد مصري المولد والدار والوفاة، وقيل: إن والده حموي الأصل هاجر إلى مصر واستقر بها: وكان يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام فلقب بالفارض⁽¹⁾ نشأ ابن الفارض في عصر الأيوبيين وهو عصر شهد التصوف والتقوى لكثرة الصراعات وكثرة الحروب وتوالي الكروب، ومن جهة أخرى تنفسي ظاهرة الفسوق وانحلال الأخلاق وتحكم الشهوات، فاتجه الشعر هذين الاتجاهين فنشأ الشاعر نشأة دينية وتربى تربية صوفية⁽²⁾ وكان لوالده دور كبير في توجيه ابنه كونه كان زاهدا متقشفا، فانتهج ابن الفارض طريقة أبيه في الزهد، كما تذكر المصادر أنه عاصر ابن عربي والسهورودي، وشهد عصره فترة تحول الحكم الفاطمي إلى الحكم الأيوبي، والعصر الذي نشبت فيه نيران الحروب الصليبية، وهذا ما خلف نوعا من القلق والاضطراب، كما شجع الأيوبيون الصوفية واعتنوا بالمتصوفين⁽³⁾.

تأثر الشعر الصوفي بالخمرة، فالخمريات الصوفية استلهمت صورها وأساليبيها من شعر الخمرة، ولم تأخذ مجونه وإباحيته، فنشوة الحب عند الصوفية يسمونها سكرا وهو يشبه في آثاره السكر الحسي، واتجه شعراء الصوفية إلى الاقتباس من خمريات أبي نواس التي اشتهر بها في العصر العباسي، وسبب أخذهم عنه كثرة المفاهيم الفلسفية والوجدانية الموجودة في شعره وبذلك أصبح للخمير وضع مميز في تراث التصوف الأدبي فهو عندهم رمز من رموز الوجد الصوفي⁽⁴⁾. يقول ابن الفارض في قصيدة له عرفت باسم الخمرية⁽⁵⁾:

1- عاطف جودت نصر: شعر عمر بن الفارض دراسة في الفن الصوفي، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1981، ص56.

2- ينظر: محمد علي أبو الحسن: سلطان العاشقين ابن الفارض وخصائصه الشعرية إضاءات نقدية، مجلة فصلية، جامعة دهاقان، العدد3، 2011، ص26.

3- محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1971، ص37.

4- عاطف جودت نصر: الرمز الصوفي عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، دط، ص339.

5- ابن الفارض: الديوان، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2008، ص191.

شربنا على ذكر الحبيب مُدَامَةً سكرنا بها قبل أن يُخلق الكرمُ
لها البدر كأس والشمس يديرها هلالٌ وكم يبدو إذا مزجت نجمُ
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ولولا سناها ما تصورها الوهمُ

ابن عربي(ت638هـ):

هو محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي المرسى المعروف بمحي الدين ابن عربي، المكنى بابي بكر والملقب بالشيخ الأكبر، ولد بمرسية بالأندلس، وانتقل إلى اشبيلية وزار المغرب ومصر والحجاز وبغداد واستقر بدمشق، يعد من كبار شيوخ الصوفية علما وفهما في القرنين السادس والسابع الهجريين، ينحدر من قبيلة حاتم الطائي، ويحمل اسم المرسى نسبة إلى مرسية التي ولد بها ببلاد الأندلس، كان يكنى بابي بكر ويلقب بمحي الدين، ويطلق عليه اسم ابن عربي في الأندلس وهو الاسم الذي يفخر به دائما، فينشد في ذلك:

أنا العربي الحاتمي أخو الذي لنا في العلا المجد القديم المؤثر
توفي بدمشق سنة 638هـ تاركا الكثير من المؤلفات تصل إلى أربعمئة كتاب ورسالة، أشهرها موسوعته الكبرى في التصوف التي أطلق عليها الفتوحات المكية، وله فصوص الحكم، والتفسير الصوفي للقرآن، وله ديوان ترجمان الأشواق، وفيه أجمل الأشعار التي تتضمن الغزل الصوفي والحب الإلهي، وذكره لهند أو ليلي أو سعاد إنما المقصود هو الله، فهو وحده الجمال المعشوق والجدير بالحب⁽¹⁾. يقول في قصيدته مريضة الأجفان⁽²⁾:

مَرَضِي من مَرِيضَةِ الْأَجْفَانِ عَلَّانِي بِذِكْرِهَا عَلَّانِي
هَفَّتِ الْوُرُقُ بِالرِّيَاضِ وَنَاحَتْ شَجَوُ هَذَا الْحَمَامِ مِمَّا شَجَانِي
بِأَبِي طِفْلَةٍ لَعُوبٌ تَهَادَى من بَنَاتِ الْخُدُورِ بَيْنَ الْعَوَانِي

1-ينظر: مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص30. وينظر: ابن

عربي: الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص6.

2-ابن عربي: ديوان ترجمان الأشواق، عناية عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2005، ص100.

أَفَلَتِ أَشْرَقْتُ بِأُفُقِ جَنَانِي	طَلَعْتُ فِي الْعِيَانِ شَمْسًا فَلَمَّا
كَمْ رَأْتُ مِنْ كَوَاعِبٍ وَحَسَانِ	يَا طُلُولًا بِرَامَةٍ دَارَسَاتِ
يَرْتَعِي بَيْنَ أَضْلَعِي فِي أَمَانِ	بَأَبِي ثُمَّ بِي غَزَالٍ رَبِيبِ
هَكَذَا النُّورُ مُخْمَدُ النَّيِّرَانِ	مَا عَلَيْهِ مِنْ نَارِهَا فَهَوَ نُورٌ
لَأَرَى رَسْمَ دَارِهَا بِعِيَانِي	يَا خَلِيلِي عَرَجَا بِعِيَانِي
وَبِهَا صَاحِبِي فَلَتَبْكِيَانِي	فَإِذَا مَا بَلَّغْتُمَا الدَّارَ حَطًّا
وَنَظَامٍ وَمَنْبَرٍ وَبَيَانِ	طَالَ شَوْقِي لَطِفَةٍ ذَاتِ نَثْرٍ
مَنْ أَجَلَ الْبِلَادِ مِنْ أَصْبَهَانِ	مَنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ مِنْ دَارِ فَرَسٍ
وَأَنَا ضِدَّهَا سَلِيلُ يَمَانِي	هِيَ بِنْتُ الْعِرَاقِ بِنْتُ إِمَامِي

ويقول في قصيدة يتكلم فيها عن مطلع من مطالع أهلة المعارف⁽¹⁾:

يَا نَظِيرَ النَّورِ بَدْرَ الصَّبَاحِ	صَحْتُ بِالْكَوْكَبِ الْمُنِيرِ عِشَاءً
جِئْتُمْ عَنْ حَقِيقَةٍ مِنْ جَنَاحِ	يَا حَبِيبِي وَهَلْ عَلَيَّ إِذَا مَا
مِنْكُمْ فِي الطَّلَاقِ أَوْ فِي النِّكَاحِ	أَيْنَ سُرُّ الْوَصَالِ بِاللَّهِ قُلْ لِي
أَيُّ وَتَهِيَّامٍ بِالْوَجْهِ الصَّبَاحِ	عَمَلٌ هَلْ يَصُحُّ فِيهِ اِزْدَوَاجٌ
رُبُّنَا عِنْدَ ذَلِكَ نَوْرُ الصَّلَاحِ	نَكْحَ الْمَغْرُبِ الصَّبَاحِ فَأَبْدَى
كُلَّ شَيْءٍ مَخْبَأً فِي الْبُطَاحِ	فَأَنَارَتْ أَرْضُ الْوُجُودِ وَأَبْدَتْ

خلاصة:

تمكن كل من شعر الزهد وشعر التصوف من تصوير جانب آخر من جوانب الحياة العربية في العصر العباسي، هذا الفن الشعري الذي يرى الكثير من الدارسين أنه يمثل الشعر الملتزم ظهر كردة فعل عن الحياة الصاخبة المتحررة التي أنتجت تيار اللهو والمجون في الحياة وفي الشعر.

المحاضرة الثامنة: الشعر الفلسفي وشعر الحكمة.

مخطط المحاضرة:
1-تمهيد.
2-الشعر الفلسفي عند العرب.
3-شعر الحكمة.
4-المتنبي وفلسفته وآراؤه.

1-تمهيد:

لم يكن للعرب قبل الإسلام ما يمكن إن يطلق عليه فكرا فلسفيا، فالترحال الذي لازم حياتهم طويلا لم يتيح للعقل العربي ما أتيح لعقول الأمم الأخرى المتحضرة من استقرار وحمل على الأناة والتأمل والبحث والاستقصاء، ومع ذلك استطاع العقل العربي أن يلخص تجارب حياته في الحكم والأمثال والوصايا والخطب والقصائد، وأن يطبع هذه الفنون بطابع فكري عميق، لكنه لا يرقى إلى مستوى الفلسفة النظرية المتكاملة التي تبحث في مظاهر الوجود استنادا إلى المنطق المشفوع بالبراهين لتصل إلى حقائق مجردة، ولتضع نظاما متماسكا يفسر مظاهر الوجود⁽¹⁾.

وما خلفه العرب من شعر ونثر هي نظرات فلسفية تميل إلى الطبع وخطرات الفكر، ولم يكن لديهم اهتمام بالتعليل أو محاربة التقليد والخرافات، أو البحث عن العلاقة بين المقدمات والنتائج وفيما كان منتشرا لديهم من آراء، ومعارف فلكية وطبيعية متصلة بمعارف الكلدانيين والصابئة، ومعارف طبية تجريبية مصحوبة بالرقى والعزائم والتمائم وأساطير زاخرة بأخبار الجن والسعالي والغيلان والشياطين، وأمثال وحكم تدل على منازعهم العقلية، وشعر تغلب عليه العناصر الخلقية والروحية، لكن ذلك كله لا يؤلف مذهب فلسفية كاملة؛ لأن التفكير الفلسفي لم يبدأ عندهم إلا بعد ظهور الإسلام.

فالإسلام هو من نقل العرب إلى أفق فسيح من العلم والمعرفة والبناء، فقد كان الحجر الأساس في بناء الحضارة، ونظر إلى الإنسان فجعله خليفة الله في الأرض: {إني جاعل في الأرض خليفة}(البقرة، الآية30) وفضله على كثير ممن خلق وكرمه: {وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} (الإسراء، الآية70) وسخر له الكون ليتدبر

1-ينظر: أحمد إبراهيم هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام السياسي والحضاري، منشورات جامعة حلب، دط، 2004، ص24.

آياته بالعلم والدراسة والفهم والنظر والتأمل، وقد عظم الإسلام العقل، وأشار إليه في القرآن الكريم في كثير من الآيات بمختلف الصيغ والعبارات، فدعاه إلى استخدام ملكاته الفكرية وجعل التفكير واجبا وفريضة، وعاب القرآن على المشركين تقليدهم لأعرافهم وأسلافهم مستنكرًا ذلك {حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون} (المائدة، الآية 104) وهياً للإنسان المناخ الذي يساعده على التفكير والتأمل، وأطلق سلطان العقل وخلصه من كل تقليد كان يستعبده.

وبهذا تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما: استقلال الإرادة واستقلال الرأي والفكر⁽¹⁾. وكان للقرآن الكريم الأثر الكبير في الحياة العقلية التي طبعت حياة المسلمين. كما كان للحضارة العربية الإسلامية الأثر الكبير أيضا الناتج من احتكاكهم بغيرهم من الحضارات كال يونانية وغيرها من الأمم، فاستفادوا منها الكثير كاستفادتهم من صناعة الورق، ووسائل التدوين عموما، وتفتحت عقولهم على مختلف العلوم التي سبقت إليها الفرس واليونان والهنود، فنقلوا عنهم العلوم العقلية، والفلك والطب، والرياضيات والمنطق والفلسفة. يقول طه حسين: "لقد تم للأمة الإسلامية نقل ما أورث اليونان من أنواع الفلسفة والحكمة، فترجمت لها كتب أرسطوطاليس وأفلاطون وإقليدس وجالينوس في الفلسفة الطبيعية والإلهية والرياضية والأدبية، فكانت بين أيديهم كتب أولئك الفلاسفة وما يتصل بها في المنطق والطبيعة والطب والتشريح في الهندسة والعدد والهيئة، وفي الإلهيات والسياسة والأخلاق، وكل ذلك كان في أيديهم يدرسونه ويتفهمونه في المساجد أو في المنازل، أو في المدارس أو في قصور الخلفاء والأمراء"⁽²⁾.

كان لتأسيس بيت الحكمة في عاصمة الخلافة بغداد عظيم الأثر في بعث التراث اليوناني الذي روج له كثير من العلماء في العالم الإسلامي، فأصبحت الفلسفة الإسلامية

1- محمد عبده: رسالة التوحيد، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، دط، 1979، ص123.

2- ينظر: طه حسين: الأعمال الكاملة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1974، ص85.

شرقية في أعلامها ومشاهيرها: كالكندي، والرازي، وابن سينا، وإخوان الصفا، وإلى مغربية أندلسية ومن مشاهيرها: ابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد. هذا ويختلف الباحثون في شأن الفلسفة الإسلامية من حيث هي مجرد استمرار للفكر الفلسفي اليوناني، وأن المسلمين لم تكن لهم فلسفة خاصة بهم، ويرجع هذا الطرف السبب إلى ضحالة العقلية الإسلامية وعجزها عن التعمق في مشكلات الفكر والغور في المذاهب الفلسفية، وأنه ليس للمسلمين إلا دور النقل، فكل ما عملوه أخذوا هذا التراث الفلسفي عن الإغريق وسلموه إلى فلاسفة القرون الوسطى فهم نقلة للفكر الفلسفي ولم يأتوا بشيء جديد يستحق أن يضاف إلى محصلة الفكر الإنساني.

وفريق آخر يرجح أن هناك فلسفة إسلامية نشأت في أحضان الثقافة العربية الإسلامية والعلوم العربية، ولم يكن تيار الفلسفة اليونانية سوى رافد من روافد التثاقف الفكري، أو حتمية التأثير الثقافي المتبادل بين الأمم والحضارات، فاستفاد المسلمون من الفلسفة اليونانية ورفضوا ما يتعارض مع دينهم، وقبلوا ما لا يناقض العقيدة، فهم لم يطلبوا الفلسفة إلا في فترة كانوا قد وصلوا فيها من الناحية العقلية إلى مستوى هذا التراث الفلسفي⁽¹⁾.

الشعر الفلسفي عند العرب:

يرى الدارسون أن العلاقة بين الفلسفة والشعر علاقة قديمة لأن الفلسفة أم العلوم، والشعر رؤية فلسفية للوجود والمشاعر والأحاسيس، ولقد اهتم الشعراء بفلسفة معانيهم فالملاحظ أن شعراء العصر العباسي كانوا أكثر قربا واهتماما بالفلسفة، ولقد سار تيار الفكر الفلسفي مواكبا للحركة الأدبية، فإذا كانت الحكمة هي الصورة الأولى التي التقى

1- ينظر: النزعة الفلسفية في الشعر العباسي العصر الثاني، رسالة دكتوراه، إشراف محمد عباس، إعداد بوزيزة علي، جامعة تلمسان، 2013، ص133.

حولها الشعراء فكانت بمثابة الفكر الفلسفي لحياتهم، لكنها لم تظل الشكل الوحيد للفكر الفلسفي بل تخطى الشعراء هذا المدى حين اشتد الجدل بين الفرق الدينية.

وشغل الناس بقضية الإنسان ومصيره، وبين الجبر والاختيار، فكان العصر مجالا خصبا لهذا التنوع الفكري الذي أفرزته فرق الجبرية والقدرية والمرجئة والمعتزلة⁽¹⁾ يدفعهم في ذلك النهضة العلمية والثقافية والفكرية التي أمدت الشعراء بمعان وتشبيهات جديدة مستقاة من الحوارات العلمية ومن الثقافات الأجنبية التي نقلت إلى العربية عن طريق المترجمين، فشاعت المعاني العقلية في أبيات الشعراء، وظهرت الألفاظ الفارسية والحكم اليونانية والهندية، واتجه الشعراء إلى فلسفة أقوالهم وصارت الفلسفة منهاجا ووسيلة للتعبير عن الأشياء.

وقد أنتج العصر العباسي شعرا أبدعه شعراء عرفوا الفلسفة وكان الشعر عندهم لونا من ألوان التعبير الفني عن تجاربهم وعن أفكارهم وعواطفهم، واستطاعت مصطلحات علم الكلام أن تجد طريقها إلى المعجم الشعري في هذا العصر، ولأن المناخ الفكري السائد والقدرة اللغوية التي كان عليها الشعراء؛ كل ذلك أتاح حرية الحركة الشعرية في صياغة معان جديدة من حيث اشتمالها على كثير من الأفكار الفلسفية المستخلصة من الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي، ومن الديانات المختلفة، ومن علم الكلام والتصوف، فهذا التراكم المعرفي كان عملا أساسيا في بروز الشعر الفلسفي.

شعر الحكمة:

إن هذا الموضوع لا يبحث في علاقة الفكر بالشعر ولا يبحث في الآراء والقضايا الفلسفية التي قال بها الفلاسفة، وإنما هو وصف واستخلاص ما جاء به الشعراء بطريقة شعرية بها فلتات عقلية صائبة نتيجة خبرة واحتكاك وثقافة، وهي نظرات في الحياة،

1-ينظر: عبد الله التطاوي: حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر، دط، 1992، ص87.

والموت، والدهر، والناس، وبعض الخواطر في النفس البشرية، يغلب عليها النظر والتأمل، عبروا عنها في تجاربهم الشعرية.

هذا الموضوع لا يستقل بذاته عندهم، وإنما هو موزع داخل الموضوعات الأخرى، ويكثر عادة في الرثاء. والحكمة هي آثار التفكير في الإنسان والمجتمع والوجود والحقائق والأشياء، وهي ثمرات العقل الإنساني، والإحساس الفكري بالحياة⁽¹⁾ وشعر الحكمة هو شعر يتعلق بما لدى الشعراء من تجارب العقل والحياة، ويعد زهير بن أبي سلمى من أشهر شعراء الحكمة في العصر الجاهلي، ومعلقته الشهيرة مزيج من المديح لهرم بن سنان والحارث بن عوف، ووصف لأهوال الحروب، رغبة منه في إقناع المتحاربين بالمصالحة والسلام، كل ذلك يصوغه في أسلوب من الحكمة تمنح قصيدته بعدا إنسانيا رفيعا، والحكمة في العصر الجاهلي تستمد من تجارب الشاعر وآرائه الخاصة في الحياة.

وفي العصر الإسلامي ومع ظهور القرآن الكريم والحديث النبوي، كثرت الحكمة وتنوعت مستفيدة من المعاني الإسلامية الجديدة، وفي العصر العباسي ومع تفتق الأفكار والثقافات نجد شعراء يعدون من أعلام ومشاهير شعر الحكمة فيظهر: أبو تمام والمتنبي وأبو العلاء المعري، فقد خلف الشاعر أبو تمام ميراثا شعريا زاخرا بالمعاني الحكيمة أفاد فيما بعد منه المتنبي، كم استفاد من علوم عصره وثقافته المختلفة الكثيرة المشارب، فكان أوفر حظا من شعر الحكمة، فحكمه آراء وخواطر جاءت وليدة تجاربه مع الحياة والناس وكثرة الترحال من بلد إلى آخر، فقد حمل المتنبي منذ صباه هما إنسانيا كبيرا وتقمص شخصية الإباء والكبرياء، فنطق بلسان ذاته ولسان الإنسان المثالي الذي يتجسده ويريد تحقيقه، فجاءت حكمه إفرازا ذاتيا لرؤياه العقلية والثقافية⁽²⁾.

1- ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص13.

2- يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد، دار غريب، القاهرة، مصر، ط1، ص141.

والمتنبي شاعر حكيم له رؤية شاملة في قضايا الحياة وطبائع الناس وأخلاقهم، وفلسفة علمية تستطيع إخراجها من شعره، مثله مثل أبي العلاء المعري، أما أبو تمام فتجده عند المنظر الجميل والمعنى العميق البديع، لكن لا تجد له تلك الرؤية الفلسفية الشاملة، والحكمة عند المتنبي ليست نظرية تجريدية؛ بل هي منتزعة من تجاربه الشخصية، وخبرته بالناس، يقول في إحدى قصائده⁽¹⁾:

ومن عرفَ الأيامَ معرفتي بها وبالنَّاسَ رَوَى رمحه غيرَ راحمٍ
فليس بمرحومٍ إذا ظفروا به ولا في الرَّدَى الجاري عليهم بآثمٍ

فالمتنبي بحق هو شاعر التجارب والحكم⁽²⁾. يقول أحمد شوقي: "لا يزال الشعر عاطلا حتى تزينه الحكمة، ولا تزال الحكمة شاردة حتى يؤوبها بيت من الشعر فبيت الشعر في القصيدة العربية محصن بسياج قوي من القافية والوزن والموسيقى الشعرية، وتظل الحكمة مصونة بداخله على مر الزمان"⁽³⁾.

أبو الطيب المتنبي(ت354):

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي من بني جعفي من مَذْحِج من عرب الجنوب، وهي قبيلة يمانية فيها فصاحة ولسن، ولد في حي بني كندة في الكوفة، ولذلك يقال له الكندي والكوفي أيضا، نشأ بالكوفة، وتلقى فيها جانبا من العلوم، ثم غادرها مع أبيه في الأغلب، وأخذ يطوف بين بلاد الشام والعراق، بين بعلبك وطرابلس واللاذقية، وقد كانت هذه المدن في ذلك الحين مراكز للعلم والتعليم، وينتقل إلى البادية مصاحبا الأعراب، وكانت الديار الإسلامية دريئة للفتن والدعوات المخالفة، فالفرق الباطنية من

1-المتنبي: الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي، مصر، دط، ص112.

2-ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص13.

3-مصطفى أمين الرفاعي: المتنبي وشوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، 2002، ص247.

قرامطة وإسماعيلية وسواهم يبشرون الناس بظهور المهدي ليظهر الأرض من الجور والفساد، والخوارج على السلطان يؤرثون نار الفتن في الأمصار والديار⁽¹⁾.

فلسفته وآراؤه في الحياة:

للشعر أغراض متفاوتة يعلو بعضها على بعض، فمنها الغزل وما يتبعه من تشبيب بمحاسن المحبوب وتصوير لأخلاقه، ووصف لمشاعر النفس في حالتها اللذة والألم، ومنها وصف الطبيعة وما يتعلق بها واستجلاء أسرارها والاتصال بمحاسنها وألوانها، ومن الأغراض ما يتصل بالنظر في الحياة، وما يتعلق بها من عادات الناس وأخلاقهم وطبائعهم وأذواقهم ولذاتهم وآلامهم، وتآلفهم وتخالفهم وسياساتهم واجتماعاتهم، والمتنبى شاعر له عبر ومواعظ مستنبطة من حياته وحياة عصره أعمل فيها فكره، وبنى عليها آراؤه، وكان له إطلاع على الفلسفة العربية اليونانية، ساعدته على إبراز أفكاره المتشعبة بالأحكام السديدة.

فقد أوتي الشاعر نفساً أبية تسامت به إلى أرفع الدرجات، وخالفتهما الأقدار، فأخفقت مراراً، فأفضى به الإخفاق المتتابع إلى التشاؤم بالزمان وأهله، وتشاءم بأهل زمانه لأنه رأى فيهم أعداء وحسادا يعكسون أماله ويخضدون شوكته، ورأى أن هناك من يساعده الحظ فيبلغ أعلى الرتب وهو عنده لا يستحق هذا المقام، فكره زمانه واحتقره في قوله⁽²⁾:

أريدُ من زمني ذا أن يُبلِّغني ما ليس يبلِّغهُ من نفسه الزَّمَنُ

ولا تلقَ دهرَكَ إلاَّ غيرَ مكترثٍ مادام يصحبُ فيه روحَكَ البدَنُ

وكره أهل زمانه ورماهم بأقبح الأوصاف، فهم قوم ليس بالإحسان عندهم في صنع الجميل، وإنما في ترك القبيح. يقول المتنبى⁽³⁾:

إنَّا لفي زمنٍ تركُ القبيحَ به من أكثرِ الناسِ إحسانَ وإجمالَ

1- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، ص457.

2- المتنبى: الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط مصطفى السقا، ص234.

3- المتنبى: الديوان، ص490.

ذكرُ الفتى عمرهُ الثاني وحاجتُهُ ما قاتَهُ وفضولُ العيشِ أشغالُ
وقد قاده أيضا تشاؤمه بالزمن وأهله إلى كره النسل فيقول⁽¹⁾:

إذا ما تأملتَ الزمانَ وصرفَهُ تيقَّنتُ أنَّ الموتَ ضربٌ من القتلِ

وما الدهرُ أهلٌ أن تؤمَّلَ عندهُ حياةً، وأنَّ يشتاَقَ فيه إلى النسلِ

وقد قضى على أهل زمانه باللؤم والقبح والظلم والجهل، فاتهم مودتهم ودينهم في قوله:

فلم أرُ ودَّهم إلاَّ خداعاً ولم أرَ دينهم إلاَّ نفاقاً

وتوالى الإخفاقات المتوالية في حياة المتنبى إلا أنه ظل صامداً لم يخنع ولم يذعن، بل لم

تزده صروف الدهر إلا عزماً وإقداماً فيقول في هذه المعاني⁽²⁾:

ذريني أنلُ ما لا يُنالُ من العُلَى فصعبُ العُلَى في الصَّعبِ والسَّهلُ في السَّهلِ

تريدين لقيانَ المعالي رخيصةً ولا بدَّ دون الشَّهَدِ من إبرِ النَّحْلِ

ويقول في موضع آخر⁽³⁾:

وإذا كانتِ النُّفوسُ كِبَاراً تَعَبْتُ في مُرادِها الأجسامُ

وكذا تطلُعُ البدورُ علينا وكذا تقلُّقُ البحورُ العظامُ

ولنا عادةُ الجميلِ من الصَّـبْرِ لو أنا سوى نَوَاكٍ نُسامُ

كلُّ عيشٍ ما لم تطبُهُ جِمامٌ كلُّ شمسٍ ما لم تكنْها ظلامُ

ويرى أن لكل امرئ من دهره ما تعود، فمن عود نفسه الذل هان عليه احتماله، يقول⁽⁴⁾:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

ومن حمل نفسه على ركوب الأخطار هانت عليه مكارهاها، يقول في ذلك⁽⁵⁾:

1-المصدر نفسه، ص281.

2-المصدر نفسه، ص518.

3-المصدر نفسه، ص261.

4-المصدر السابق، ص94.

5-المصدر نفسه، ص498.

غاصَّ الوفاءُ فما تلقاهُ في عِدَّةٍ وأعورَ الصدقُ في الإخبارِ والقسمِ
 سبحانَ خالقِ نفسي كيف لذَّتها فيما النفوسُ تراه غايةَ الألمِ
 الدهرُ يعجب من حملي نوائبه وصبر نفسي على أحداثه الحطمِ
 وقتٌ يضيعُ وعمرٌ ليت مدَّته في غير أمَّته من سالفِ الأممِ
 وغير جدير بالشاعر المتنبّي أن يطلب من المجد أدناه، فهو يرى أن طعم الموت في
 الأمر الحقيق مثله في الأمر العظيم، ومدَّ نظره إلى أسمى الدرجات وقال⁽¹⁾:
 إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنّع بما دون النجومِ
 فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمٍ
 ووطَّن نفسه على الجهاد في سبيل المجد، فعانى الأسفار، وركب الأخطار فما الدنيا عنده
 إلا غنيمة الجسور (والبرّ أوسع، والدنيا لمن غلب) فأضعف فيه ذلك حب الوطن فكان
 يقول: (وكل مكان ينبت العز طيب) أو يقول: (إن الدليل غريب حيثما كانا)⁽²⁾. وكثير من
 أشعار المتنبّي حكم سائرة وأمثال واردة، يرددها الناس في كل زمان، ومن ذلك قوله⁽³⁾:
 كلّما أنبت الزمانُ قنأةً ركبَ المرءُ في القنأَةِ سَنَانَا
 ومرادُ النفوسِ أصغرُ من أن نتعادى فيه وأن نتقائى

أبو العلاء المعري (ت449هـ):

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان التتوخي ولد في معرة
 النعمان، أصيب بالجذري صغيراً بعد أربع أعوام من مولده فذهب بصره، وانطفأت عيناه،
 غشى اليمنى عينيه بياض وكانت نادرة، وانطفأت اليسرى تماماً وكانت غائرة، لم يعرف من

1-المصدر نفسه، ص119.

2-ينظر: بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص270.

3-المتنبّي: الديوان، ص240، 241.

الألوان سوى الأحمر وهو لون الثوب الذي لبسه يوم أصابه الداء، أخذ عن والده مبادئ العلم، ثم قصد حلب وتحدث إلى علمائها وزار مكاتبها، ثم ذهب إلى أنطاكية واللاذقية وعاد إلى طرابلس، وأخيرا قصد بغداد وجالس علماءها في مجالس العلم والأدب، ولما بلغه نعي أمّه رجع إلى المعرة وحبس نفسه في بيته، فسمي رهين المحبسين؛ أي العمى والبيت، وربما أضاف محبسا ثالثا نلمس ذلك في قوله⁽¹⁾:

أراني في الثلاثة في سجوني فلا تسأل عن الخبر النبئ
لفقد ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

ترك الدنيا زاهدا، فجاءت إلي بيته الذي أصبح مزارا لكبار العلماء والأدباء وطلاب العلم، وقد ظهر وجهه مجدورا طوال عمره، وأما جسمه كان نحىلا منذ النشأة، وزاد نحولا أيام لزومهم محبسه، وحرم أكل اللحوم من أي نوع، وبيض الحيوان، ولبنه، وهي شيمة قدامى فقراء الهند ودراويش الصوفية، ودامت نباتيته سبعا وأربعين سنة، ألد فاكهة لديه التين، وأشهر طعامه العدس إلى أن توفي سنة 449هـ. تذكر الروايات أنه كان زاهدا في حطام الدنيا، كبير النفس، متوقد الذكاء، وهو من نوابغ العميان، وهو شاعر في ديوانيه: سقط الزند، وفيه أغراض متنوعة، وأما في ديوانه اللزوميات، طرق المعري جميع القضايا التي تشغل العقل الإنساني، فهي مجموعة آرائه في المشاكل العقلية، فأله العقل، وعاش نباتيا، وتحدث عما وراء العقل، وقبح الزواج، وأساء الظن بالمرأة⁽²⁾.

فلسفته وآراؤه:

جمع المعري فكره وفلسفته في الحياة في ديوانه اللزوميات، وهذا الديوان يختلف في نظمه عن ديوان سقط الزند شكلا ومضمونا، فمن ناحية الشكل اختص بنظم اللزوميات بقيود لم يكن العرب على عهد بها وألزم فيها ما لا يلزم، ومن ناحية المضمون لم ينشئ

1- المعري: اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، دت، ج1، ص188.

2- ينظر: مارون عبود: أدب العرب، ص227.

قصائد في المديح والنسيب والغزل والรثاء والهجاء، وإنما اختص بالتعبير عن أفكاره وتأملاته تجاه القضايا الكونية والفلسفية وكل ما يتصل بالإنسان. يقول في الدهر⁽¹⁾:

من أحسن الدهر وقتاً ساعةً سلمتُ من الشرِّ وفيها صاحبٌ حدثُ
أعجب بدهرك أولاهُ وآخرهُ إنَّ الزمانَ قديمٌ سنه حدثُ
أردى رداهُ بأجيالٍ فكم خُفرتُ أجداتُ قومٍ ولم يحفر له جدُ
يقول فيما يعتقد البشر مشككاً⁽²⁾:

في اللاذقية ضجةٌ ما بين أحمد والميخ
قسٌ يعالج دلبةً والشَّيخ من حنقٍ يصيح
كلُّ يصحَّ دينه يا ليت شعري ما الصحيح
ويقول في المذاهب⁽³⁾:

عجبت لكسرى وأشياعه وغسل الوجوه ببول البقر
وقول النصارى إله يُضام ويُظلم حيا ولا ينتصر
وقول اليهود إله يحب رشاش الدماء وريح القتر
وقوم أتوا من أقاصي البلاد لرمي الحجار ولثم الحجر
فوا عجباً من مقالاتهم أيعمى عن الحق كلُّ البشر
ويقول لمن يبحث عن الحق⁽⁴⁾:

أمر تستخفُّ بها حلومُ ولا يدري الفتى لمن الثبورُ
كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبورُ
نهتُ أمماً فما قيلتُ وبارتُ نصيحتها فكلُّ القوم بورُ

1- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص187.

2- ينظر: مارون عبود: أدب العرب، ص228.

3- المرجع نفسه، ص228.

4- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص319.

أصولٌ قد بُنِينَ على فسادٍ وتقوى الله سوقٌ لا تبورُ
ليطلعَ الملكَ عليك فيها وأنت على نوائبها صبورُ

ثم تراه يوضح مقاله قائلًا⁽¹⁾:

إذا رجع الحصيفُ إلى حباهُ تهاونَ بالمذاهبِ وازدراها
وهتُ أديانُهم من كلِّ وجهٍ فهل عقلٌ يشدُّ به عُراها

ثم يقول⁽²⁾:

قال افتكارٌ في الحوادثِ صادقٌ جعل الصعاب من الحوادثِ مدللَّه
هفتُ الحنفيةُ والنصارى ما اهتدتُ ويهودُ حارثُ والمجوسُ مضللَّه
اثتان أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخر دَيْنٌ لا عقلَ له
ثم يدعو إلى عبادة العقل فيقول⁽³⁾:

أيها الغرُّ إن خُصِصْتَ بعقلٍ فاسألنَّ فكلُّ عقلٍ نبي
يقول في النهاية⁽⁴⁾:

ضحكنا وكان الضحكُ منّا سفاهَةً وحُقَّ لسكانِ البسيطةِ أن يبنُكوا
يُحطِّمنا ريبُ الزمَّانِ كأَنَّنا زجاجٌ ولكن لا يُعادُ له سَبْكُ

خلاصة:

الفلسفة والحكمة لوانان يتسمان بالتعبير عن تجارب الإنسان في حياته عموماً، وهما فنَّان لم يخلو منهما عصر من العصور الأدبية، وقد شاع هذان الفنَّان في العصر العباسي لتوفر أسبابه التي من أهمها: الترجمة وتثاقف العربي بالأخر من مختلف

1-المصدر نفسه، ج2، ص427.

2-المصدر نفسه، ج2، ص208.

3-المصدر نفسه، ج2، ص439.

4-المصدر نفسه، ج2، ص147.

الحضارات التي تأثر بها وغاص في معانيها دارسا ومتأملاً.

يعد المتنبى والمعري من أبرز من مثل هذا التيار في الشعر العباسي لاتسام شعرهما بالجدل والتفكير والنظرات التأملية في الكون والحياة والإنسان والأفكار والعقل، ذلك لسعة الاطلاع عندهما وما يملكانه من ثقافة موسوعية، مكنت لهما ابتكار المعاني واستيعاب الفكر الآخر، والنظر في دقائق الأشياء.

المحاضرة التاسعة: النثر في العصر العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-النثر: المصطلح والمفهوم.
2-نشأة النثر الفني عبر العصور.
3-النثر الفني في العصر الجاهلي مواقف وآراء.
4-النثر الفني في العصر الإسلامي.

5-النثر الفني في العصر الأموي.
6-النثر الفني في العصر العباسي.
7-من خصائصه وخصائصه الفنية.
8-خلاصة.

1-النثر: المصطلح والمفهوم:

لو نرجع إلى المعاجم العربية نجد لكلمة نثر معاني متعددة منها ما يذهب إليه الزمخشري في أساس البلاغة "نثرت المرأة بطنها، ونثرت الشاة نثيراً، عطست وأخرجت من أنفها الأذى، والنثار والنتارة بمعنى النثر، وهو الفتات المتناثر حول الخوان"⁽¹⁾ وجاء في لسان العرب لابن منظور قوله: "النثر نثر الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر. وكذلك نثر الحب إذا بُذِر"⁽²⁾ أما في القاموس المحيط للفيروز آبادي يقول: "نثر الشيء، وينثره نثراً ونثارة: رماه متفرقا"⁽³⁾. ومن المعاني أيضاً ما جاء في كتاب العين "امرأة نثور، كثيرة الولد"⁽⁴⁾. ومن قراءة النصوص المعجمية السابقة يظهر اتفاق المعاجم اللغوية حول أصل (نثر) الذي يقوم على التفرقة والتوزع؛ أي كان مجتمعا ثم تفرق وتبعثر دون نظام يحكمه، وأن كلمة نثر تحمل دلالة الشيء المبعثر والمتفرق، وهي قريبة من صفة النثر في الكلام الذي يقابله النظم، وبالتالي النثر من الناحية اللغوية هو الكلام الذي لا يحكمه نظام ولا وزن، ثم تطورت دلالاته وأصبحت مقصورة على الكلام الأدبي.

يطلق القدامى على المصطلح كلمات كثيرة منها: الكلام، والكتابة، والمنثور، وهي كلمات متباينة من حيث مضمونها ودلالاتها. فالمنثور الذي هو كلام ليس فيه وزن أو قافية، يخالف المنظوم وبيانه، لأن كل واحد منهما يشكل فنا قائما بذاته، وهو "على

¹-الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مادة(نثر)، ص446.

²-ابن منظور: لسان العرب، مادة(ن.ث.ر).

³-الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة(ن.ث.ر).

⁴-الفراهيدي الخليل بن أحمد :معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، مج4، ص188.

ضربين: أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب.

وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم، وأما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها مهارة وبلاغة، وهذا الضرب هو الذي يعنى النقاد ببحثه ودرسه وبيان ما مرّ به من أحداث وأطوار، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص، وهو الكلام الذي يحتفل صاحبه بالصياغة وجمال الأداء ويتفرع إلى الخطابة والكتابة الفنية⁽¹⁾.

فالكلام المنثور يتخذ عدة أشكال، ويتحكم في تطوره عدة عوامل، تبعا للأحوال والمقامات، وهناك تباين بين أنواعه، سواء من حيث القيمة أو التداول، وأشهره الخطابة والكتابة الفنية (النثر الفني). ويذهب بروكلمان إلى أن النثر هو فن التأثير بالكلام المتخير الحسن الصياغة والتأليف في أفكار الناس وعزائمهم⁽²⁾ ويرى عمر فروخ أن النثر هو الكلام الذي يجري على السليقة من غير التزام وزن، وقد يدخل فيه السجع والموازنة والتكلف⁽³⁾. وعند طه حسين هو ذلك الكلام الذي يعنى به صاحبه عناية خاصة ويتكلفه تكلفا خاصا، ويحاول أن يؤثر به في نفسه⁽⁴⁾.

2- نشأة النثر الفني عبر العصور:

يجد الدارس صعوبة إذا ما حاول معرفة الفترة التي نشأ فيها النثر العربي، ذلك أن معظم الباحثين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة دراسة الأدب الجاهلي، لم يصلوا إلى رأي واحد يمكن أن يعتمد عليه الباحث، لأسباب منها قلة التدوين، وشيوع الأمية ومعظم ما روي عن أدبنا القديم جاء عن طريق المشافهة والرواية، إضافة إلى ذلك، فإن الحديث

¹- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص15.

²- ينظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقل عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1996، ص129.

³- ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص44.

⁴- ينظر: طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، دت، ص363.

عن هذا الجنس يرد-غالبا- في إطار مقارنته بالشعر، ومناقشة مسألة الأسبقية والأفضلية، وهو ما يتمخض عنه على الأعم اعتباره جنسا أو فرعا أقل مرتبة من الشعر، أو أدنى منه تأثيرا في نفوس السامعين.

إن التنازع بين الشعر والنثر مرّ بمرحلتين هما: مرحلة الصراع الوجودي بين الشعر والنثر، حيث دارت أهم المناقشات حول أسبقية كل منهما (الأصل، الفرع)، تميزت المرحلة الثانية ببروز الوعي النقدي للجمع بين الشعر والنثر، في ظل مفهوم جديد هو ما اصطلح عليه عند بعض النقاد بمصطلح الكتابة، لهذا فإن النظر إلى الشعر والنثر باعتبارهما ثنائية يحكمها التضاد أو التنازع مسألة لا تزال تطرح بشكل مغلوط... من هنا كان الموقف السليم يتمثل في معالجة قضية تنازع الشعر والنثر في إطارها الطبيعي وهو مسألة الأجناس الأدبية من حيث ظهورها وتطورها وتداخلها وتفاعلها واندثارها.

أ-نشأة النثر الفني في العصر الجاهلي. مواقف وآراء:

اختلفت آراء الباحثين وتعددت حول نشأة النثر عند العرب في العصر الجاهلي، ذلك أن العرب شأنهم شأن غيرهم من الأمم الأخرى، كانت لهم حياتهم السياسية، والاجتماعية، والدينية، والعقلية، والتي تدل على طبيعتهم، وهو ما يذهب إليه زكي مبارك في قوله: "إن الجاهليين لابد وأن يكونوا قد بلغوا في ذلك المضمار شأوا لا يقل عما وصل إليه الفرس واليونان في ذلك الوقت، بل إنهم في إنتاجهم الأدبي في النثر لم يكونوا متأثرين تأثرا كبيرا بدولة أخرى مجاورة أو غير مجاورة، وإنما كانت لهم في كثير من الأحيان أصالتهم وذاتيتهم واستقلالهم الأدبي الذي تقتضيه بيئتهم المستقلة، وحياتهم التي كانت أقرب إلى الانعزال.

وإذا كانت الظروف المختلفة لم تساعد على بقاء هذا التراث من النثر الجاهلي، فليس معنى ذلك أن نهدره ونحكم بعدم وجوده، وإنما يجب أن نتلمسه في مصادر أخرى. ونحن إن فعلنا هذا فسوف نجد بين أيدينا حجة لا تنكر، ودليلا لا يجحد على أن ثمة نثرا جاهليا، ألا وهو القرآن الكريم... تأكد لنا أن العرب الجاهليين قد عرفوا النثر الفني، وأن

القرآن الكريم يمكن أن يعطينا صورة -ولو تقريبية- عن شكل هذا النثر، ومنهجه، وحالته⁽¹⁾.

وما يواجهه الباحث في النثر الجاهلي هو قضية الشك في صحة النصوص التي وصلت إلينا من ذلك العصر، فكما شك بعض المستشرقين في صحة الشعر الجاهلي، شك بعضهم أيضا في النثر الجاهلي، ومنهم المستشرق الفرنسي (المسيو مرسيه) الذي نفى وجود نثر فني جاهلي، ودليله في ذلك أن العرب في جاهليتهم كانوا يعيشون حياة أولية (بدائية) والحياة الجاهلية لا توجب النثر الفني لأنه لغة العقل، وقد تسمح بالشعر لأنه أقرب إلى لغة لخيال⁽²⁾. ولا يتصور طه حسين أن هذا النثر الفني المحكم الرصين، كان موجودا في العصر الجاهلي، فهو يرفض ما نسب إلى الجاهليين من نثر مع إقراره بمعرفتهم للنثر وإمامهم به، لكنه يذهب إلى أن نثرهم لم يصل إلينا بطريقة علمية مرجحة، فهو يرفض الخطب، وسجع الكهان، والحكم، والوصايا ويرى أنها من صنع العصور الإسلامية التي نحت فيها، وأكثرها إنما نحل في القرن الثاني والثالث الهجري لنفس الأسباب التي حملت على نحل الشعر من سياسة ودين وشعبية، وتكثر في الرواية⁽³⁾.

أما زكي مبارك فقد أنكر زعم المستشرق (مرسيه) القائل بأولية الشعر عند العرب في الجاهلية، وعدم وجود نثر قديم لديهم وأكد: أنه كان للعرب قبل الإسلام نثر فني يتناسب مع صفاء أذهانهم، وسلامة طباعهم، لكنه ضاع لأسباب منها: قلة التدوين، وشيوع الأمية، ومضى إلى الحكم على خطبة قُسن بن ساعده الإيادي التي قالها في سوق عكاظ بأنها موضوعة، وقال: إنها وضعت لإيهام الجمهور بأن نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- كانت مما يجري على السنة الخطباء الموفقين من أصحاب الحكمة في عهد الجاهلية⁽⁴⁾.

¹-زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص51.

²-المرجع نفسه، ص35،36.

³-ينظر: طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص364.

⁴-ينظر: زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص36.

ويقف شوقي ضيف موقفا وسطا بين الرأيين من خلال قوله: "نحن لا نغلو هذا الغلو الذي جعل بعض المعاصرين يذهب إلى أن العرب عرفوا الكتابة الفنية أو النثر الفني منذ العصر الجاهلي، فما تحت أيدينا من وثائق ونصوص حسية لا يؤيد ذلك إلا إذا اعتمدنا على الفرض والظن، والحق أن ما تحت أيدينا من النصوص الوثيقة يجعلنا نقف مرحلة وسطى بين الرأيين، فلا نتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي، بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق، وهو العصر الإسلامي"⁽¹⁾.

يأتي موقف إحسان النص أكثر اعتدالا بالنظر إلى المواقف السابقة من خلال قوله: "إننا إذا لم نغال ورجحنا صحة طائفة من الخطب التي انتهت إلينا نجد أنها قليلة لا تكفي وحدها لتحديد معالم الخطابة الجاهلية والإبانة عن خصائصها، إلا أننا مع ذلك نستطيع أن نقف على كثير من مميزات الخطابة بالرجوع إلى الخطب التي يرجح انتحالها لأنها صورة من الخطابة الجاهلية، والذين انتحلوها راعوا محاكاة صورة صادقة عن النثر الجاهلي وخصائصه...ومن خطب الوفود التي قدمت على رسول-الله صلى الله عليه وسلم-نستطيع أن نستخلص كثيرا من خصائص الخطابة، وأخيرا نجد القرآن الكريم يعكس لنا جانبا من خصائص النثر الجاهلي، وهو أول نموذج للنثر الأدبي نستطيع أن نطمئن إلى صحته كل الاطمئنان"⁽²⁾.

لكن في خضم هذه الآراء لا يمكن أن ننكر أن العرب قبل الإسلام قد عاشوا نهضة أدبية، وكانوا أصحاب بيان وفصاحة تدل على رقي تفكيرهم العقلي والديني والأدبي، كغيرهم من الأمم القديمة، وأن الإسلام قد جاء نتيجة لتفاعلات هائلة كانت تضطرب بها الجزيرة العربية، وأتى مجملا لخلاصتها، والتشكيك في النصوص الجاهلية لا يمكن أن يكون حكما عاما نطلقه على كل النصوص النثرية التي انتهت إلينا من هذا

¹-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص104.

²-ينظر: إحسان النص: الخطابة العربية في عصرها الذهبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1963، ص7.

العصر. وأن المحققين والدارسين للتراث الأدبي العربي ذكروا بعض أنواع النثر العربي في تلك الفترة منها: الخطابة، والقصة، والحكم والمثال، والوصايا، وسجع الكهان.

-النثر في العصر الإسلامي:

لقد أحدث الإسلام انقلاباً جذرياً في حياة الناس، وأثر القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف تأثيراً بالغاً في اللغة والأدب العربيين عامة، والنثر العربي بخاصة، فقد "دخل النثر العربي في طور جديد بظهور الإسلام، بعد أن تعرضت الحياة الأدبية لانقلاب شامل. ولم يكن ثمة بد من أن يتأثر الأدب بالحياة الجديدة وأن يكون صدى لأحداثها واتجاهاتها، وكانت مظاهر التطور في النثر أوضح منها في الشعر، لأن الشعر فن تقليدي يترسم فيه الشاعر خطى سابقه، ويلتزم أصولاً محددة"⁽¹⁾ كما أن أغراضه قد تنوعت أيضاً، وتلون النثر بجميع ألوان الحياة الجديدة فكان خطابة، وكتابة، ورسائل وعهوداً، وقصصاً.

-النثر في العصر الأموي:

تطورت الكتابة في العصر الأموي تطوراً واسعاً، وعرف العرب فكرة الكتاب بعدما أخذت ظاهرة التدوين إلى الانتشار بفضل المثاقفة والاحتكاك، وكانت الكتابة ضرورة إدارية فرضتها إدارة شؤون الدولة الجديدة، وتطور الجانب الإداري، فتطورت المكاتبات والدواوين المختلفة. كما كانت ضرورة اجتماعية لا غنى عنها في المعاملات. وكذلك كانت ضرورة علمية لا غنى عنها في الحركة العلمية التي ازدهرت في العصر الأموي وتعاضمت في أواخره. ونتيجة لذلك كله توسع انتشار الخط واستعمال الكتابة، إبان ذلك العصر توسعا عظيماً، نظراً لإقبال الناس عليه.

كانت الحاجة إلى استخدام الكتابة واضحة في العصور الإسلامية بعد تأسيس الدولة الإسلامية، وظهر بصفة بارزة في عهد الخلفاء الراشدين، وخاصة في عهد الخليفة

¹-عمر الدقاق: مواكب الأدب العربي عبر العصور، دار طلاس، دمشق، سورية، ط1، 1988، ص77.

عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- لكثرة الفتوحات، وما ترتب عنها من ترتيب وتنظيم شؤون الدولة، فاتخذ ديوانا للجيش، واتبع الخلفاء من بعده سنته. وفي العصر الأموي زاد معاوية بن أبي سفيان في تنظيم الدولة، وأحدث ديواني الخراج والرسائل، هذا الفن الأخير الذي أخذ ينمو ويتطور ويرتقي، لعدة أسباب.

ولعل من أهمها حاجة الدولة إليه، لتدبير شؤون البلاد والعباد، وقد تجلت بواكير الكتابة في هذا النوع بفضل جماعة من الكتاب الذين ترأسوا هذا الديوان، كان على رأسهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب، الذي أثر بفضل موهبته تأثيرا كبيرا في تطور الكتابة، حتى وصف بأنه "أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي وأشهرهم، وقد ضربت ببلاغته الأمثال"⁽¹⁾ وقيل "عنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا، وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل"⁽²⁾.

-النثر في العصر العباسي:

زخر العصر العباسي بالأحداث التاريخية، والتقلبات السياسية، كما زخر بالتطورات الاجتماعية التي نقلت العرب من حال إلى حال، وكان لكل ذلك أثر واضح في تطوير الأدب، والكتابة بصفة خاصة. لقد تقدمت الكتابة الفنية في هذا العصر تقدما محسوسا؛ وسارت شوطا بعيدا في سبيل القوة والعمق والاتساع.

وأصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، فهناك النثر العلمي، والنثر الفلسفي، والنثر التاريخي، والنثر الأدبي الخالص، وكان في بعض صورته امتدادا للقديم. وكان تشجيع الخلفاء والوزراء والرؤساء للأدب وللكتاب باعثا على النهوض بالكتابة، داعيا إلى ارتفاع شأنها، وسمو منزلتها، ثم كان التنافس القوي بين الأدباء وتسابقهم إلى خدمة الخلفاء والرؤساء حافزا على تجويدها والتأنق في أساليبها.

¹ - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص114.

² - ابن النديم محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص170.

كما كانت الكتابة جواز عبور إلى الوزارة وبعض الوظائف المرموقة في مرافق الدولة لذلك كان على الراغبين في الوصول إلى هذه المناصب العليا إتقان صناعة الكتابة حتى يحققوا أهدافهم التي كانوا يطمحون إليها.

هذا وقد اختلفت الأغراض التي عبر عنها النثر الفني في هذا العصر، فبعد أن كان النثر الأموي منصرفاً بوجه عام إلى أغراض سياسية وحزبية، ولم يتجه إلى الأغراض الأخرى إلا في صورة ضئيلة، فإنه في العصر العباسي قد اتجه إلى كثير من الأغراض والموضوعات الشخصية والاجتماعية والإنسانية؛ كالمدح والهجاء والثناء والاعتذار والتهنئة والتعزية والاستعطاف، والوصف. ونستطيع القول: إن النثر خطأ خطوة واسعة؛ فهو لم يتطور من حيث موضوعاته وأغراضه فقط؛ بل إن معانيه قد اتسعت وأفكاره قد عمقت، وأخيلته قد شحذت؛ لأن مشاهد الحياة ومقوماتها العامة قد تغيرت. هذا وقد ظهر في هذا العصر صفوة من الكتاب نذكر منهم: ابن المقفع، والجاحظ، وابن العميد، وسهل بن هارون، وعمر بن مسعدة، وإبراهيم بن العباس الصولي، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأبو حيان التوحيدي، والصاحب بن عباد، والقاضي الفاضل، وبدیع الزمان الهمذاني، والحريري، والعماد الأصفهاني الكاتب.

أصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، فهناك النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي، والنثر الأدبي الخالص، وكان في بعض صورته امتداداً للقديم، وكان في بعضها الآخر مبتكراً وتعددت أغراضه من مدح، وهجاء، وثناء، واعتذار، تهنئة، وتعزية، واستعطاف، ووصف، ونسيب، كما أصبح متعدد الفروع، وظهرت أنواع كثيرة من النثر كالنثر العلمي، والنثر الفلسفي، والنثر التاريخي، والنثر الأدبي الخالص⁽¹⁾. ويأتي هذا التطور لأسباب كثيرة نذكر منها⁽²⁾:

¹ - ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 125.

² - محمد عبد المنعم: الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1990، ص 312.

- 1- الاستقرار السياسي في الدولة واتساع العمران، وما يتبع ذلك من رخاء.
 - 2- النضج العقلي وظهور آثار التقدم الفكري في الدولة.
 - 3- ظهور أجيال جديدة من المثقفين من أبناء الأمم المستعربة الذين جمعوا إلى الثقافة العربية الأصيلة فنونا جديدة من ثقافات آبائهم الفرس، الهنود، واليونان.
 - 4- تشجيع الخلفاء والأمراء للكتاب وإغداق الأموال عليهم.
 - 5- وصول الكتاب إلى المناصب الكبيرة مما جعل الكتابة مطمح كل راغب في الجاه.
 - 6- التنافس بين الكتاب في سبيل الإجابة الفنية.
 - 7- كثرة المذاهب الكلامية وحاجة كل مذهب إلى التأييد وشرح مبادئه.
- ومن مظاهر نهضته نذكر: تنوع فنونه وأغراضه، فقد تناول كل مجالات الحياة واستخدمته الدولة في الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية. وصول الكتاب إلى المناصب الوزارية. أصبح وعاء لثقافات جديدة، كانت نتيجة لامتزاج الفكر العربي بأفكار الأمم الأخرى. رقي الأفكار وعمق المعاني. التقنن في أساليبه وظهور مدارس متنوعة. شهد العصر فنونا نثرية أهمها ازدهارا: الخطب والرسائل الديوانية والمناظرات والعهود والوصايا، وتطور بعضها كفن التوقيعات والرسائل الإخوانية والأدبية، واستحدثت بعضها كفن القصة التي ظهرت مترجمة عند ابن المقفع ومؤلفة عند الجاحظ.
- بلغ النثر في هذا العصر تطورا ملحوظا، واستجاب لمتطلباته، فقد تغيرت معانيه وألفاظه وأغراضه بظهور الإسلام، فاكسب معاني وقيم روحية جديدة، وتعمقت معانيه وأساليبه، ولما ازدهرت الكتابة والخط بصفة عامة في العصر الأموي، أصبح النثر ذا شأن عظيم، إذ نما وازدهر، وتحرر من قيود تفاعلاته مع الأمم الأخرى، واستقل بنفسه ، فأصبح نثرا عربيا خالصا.
- من خصائص النثر الفنية في العصر العباسي:
-

هناك جملة من الخصائص الفنية التي تميز بها النثر في هذا العصر منها: تنوع العبارة وسهولتها، وتقطيع الفقرة إلى جمل كثيرة مسجوعة أو مرسلة، والإطناب في الألفاظ والجمل، والاستطراد، ومزج الجد بالهزل وتحليل المعنى واستقصائه، وتحكيم المنطق، والاعتراض بالجمل الدعائية، والإكثار من الصور البلاغية كالتشبيه والمجاز والكناية، والألوان البديعية كالجناس والطباق والتورية، والاستشهاد بالنظم في غضون النثر، والاقتباس من آي القرآن الكريم، وتضمن الحديث النبوي الشريف.

خلاصة:

تنوع النثر الفني في العصر العباسي وتعددت أساليبه واختلفت خصائصه، وانقسم إلى قسمين كبيرين هما: النثر الإنشائي، والنثر التأليفي الذي صار متعدد الفروع والعلوم كالنثر العلمي والتاريخي والفلسفي وهذا نتيجة طبيعية لاختلاط العرب بالأمم التي عاشروها وبخاصة الفرس، هذا الاختلاط الذي أحدث في جميع شؤونهم تغييرا لافتا جرى على النثر في هذا العصر، بالإضافة إلى دور المتكلمين الذين طوروا النثر العلمي لاطلاعهم على الثقافات التي عرفت في عصرهم وخاصة الثقافة الفلسفية.

واتسم نثر هذا العصر بخصائص أهمها: تنوع العبارة وسهولتها، وتقطيع الفقرة إلى جمل كثيرة مسجوعة أو مرسلة، والإطناب في الألفاظ والجمل، والاستطراد، ومزج الجد بالهزل وتحليل المعنى واستقصائه، وتحكيم المنطق، والاعتراض بالجمل الدعائية، والإكثار من الصور البلاغية كالتشبيه والمجاز والكناية، والألوان البديعية كالجناس والطباق والتورية، والاستشهاد بالنظم في غضون النثر، والاقتباس من آي القرآن الكريم، وتضمن الحديث النبوي الشريف.

المحاضرة العاشرة: مذاهب النثر في العصر العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-تمهيد.
2-المذاهب النثرية في العصر العباسي.
1.2-مذهب أهل الصنعة.
2.2-مذهب أهل التصنيع.
3.2-مذهب أهل التصنع والتعقيد.
3-خلاصة.

1-تمهيد:

كان الكتاب العرب المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة، ولا يقصدونه إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام عن غير قصد أو تكلف، وإن كانت كلماتهم متوازنة وألفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائعة وفصولهم متقابلة، وتلك طريقة الإمام علي كرم

الله وجهه في الكتابة، ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام.

وفي العصر العباسي زخر النثر أو الكتابة الفنية بتيارات أدبية انفرد كل منها بسر من أسرار البلاغة ولون من ألوان البيان، هذه التيارات هي التي مهدت لظهور المذاهب النثرية في هذا العصر، ففي بداية العصر كان الأسلوب السائد هو الترسل الطبيعي أو ما يطلق عليه أيضا بمذهب الصنعة الذي كان يتزعمه عبد الله بن المقفع، ثم جاء ما يعرف بالترسل الصناعي والذي يطلق عليه أيضا مذهب التصنيع أو الصنعة البديعة المطبوعة وكان على رأسه ابن العميد، ثم ما لبثت حتى أثقلت هذه الصنعة في التكلف البديعي وظهر مذهب التكلف والتعقيد الذي أسرف فيه القاضي الفاضل. وجدير بالذكر أن نشير إلى أنه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه المذاهب النثرية، وليست محدودة بزمان أو مكان، ففي عصر الجاحظ كان ابن عبد ربه يقلد ابن المقفع، وفي عصر ابن العميد كان الشريف الرضي يتفصح ببلاغة الإمام علي كرم الله وجهه.

2-المذاهب النثرية في العصر العباسي.

1.2-مذهب أهل الصنعة: تبدأ نواته الأولى من البوادر الأولى للنثر العربي عند الجاهليين، غير أن الصنعة بدت بشكل واضح مع عبد الحميد الكاتب في العصر الأموي، ولقد كان كاتباً واعياً بالخصوصيات الجمالية لهذا الفن. وساعده في ذلك كثرة اطلاعه وانفتاحه على الأدب الفارسي واليوناني. ومن أهم خصوصيات أدبه، اعتماده على الترادف الموسيقي، فالفكرة عنده لا تؤدي في عبارة واحدة، بل في عبارتين أو أكثر، حتى تكتسب إيقاعاً يرضي الأذن والعقل. كما أنه اهتم بجانب التصوير وما يتصل به من استعارات. ومن حسن أدبه أنه جعل اللغة العربية تستوعب الأدب الفارسي بكل مرونة، وقد تميز أسلوبه بالوضوح والسلاسة، ليس فيه تعقيد ولا إغراب، وإنما فيه استرسال عذب. استمر مذهب الصنعة في العصر العباسي، مع ابن المقفع الذي يعد رائده، ومن أبرز الكتاب في عصره، وهو من مخضرمي الدولتين. أشار في وصاياه للكتاب إلى أسلوبه وطريقته الفنية في الكتابة بقوله: "وإياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل

البلاغة، فإن ذلك هو العي الأكبر⁽¹⁾. ومذهبه في الكتابة يبدو واضحاً في مفهومه للبلاغة حين أجاب من سألته عنها، فقال: "هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثله⁽²⁾ يمكن أن نجمل القول في نثر ابن المقفع، فنقول: إنه اختار لنفسه أسلوباً جديداً يقف بين لغة الخاصة وما قد يكون فيها من إغراب في اللفظ، ولغة العامة وما يكون فيها من ابتذال. وهذا المذهب يقوم على الترسل الطبيعي الذي عماده الإيجاز والاسترسال، فلا سجع ولا ازدواج إلا ما جاء عفواً، كل ذلك يكون بلفظ سهل وأسلوب سلس متين الربط خال من المبالغات، ولم يحفل كتاب هذه المدرسة بالسجع ولا بغيره من ألوان البديع لأن عنايتهم تجويد المعنى أكثر من احتفالهم بجمال الألفاظ، ومن ثم يقوم هذا المذهب على التروي في انتقاء المعاني والبراعة في اختيار الألفاظ على قد المعاني.

ومن أعلام هذا المذهب إلى جانب رائده نذكر: عمارة بن حمزة، ويحيى بن زياد، ومعاوية بن يسار، وأبو الربيع محمد بن الليث، وأهم من طوروا هذا المذهب في العصر العباسي بتأثير الثقافات الأجنبية ابن المقفع وسهل بن هارون، والجاحظ الذي تميزت صناعته بخصائص ثلاث: الواقعية، والاستطراد، والتلوين الصوتي. فهو كان يكتب في قضايا عصره بشكل دقيق وواقعي، كذلك تميز أسلوبه بالاستطراد، وذلك لأنه كان يدرك أن المتلقي قد يمل من طول كتبه فعمد إلى ذلك ليزيد من اهتمام القارئ بكتبه. أما على مستوى التلوين الصوتي، فهو شكل من الإيقاع الذي لم يصل عنده لمستوى السجع، ولكن هو أقرب إلى التقطيع الصوتي المنسجم بين الجمل، والذي يخلق إيقاعاً يحمل لحناً عند المتلقين⁽³⁾.

2.2- مذهب التصنيع: بعد أن تغيرت الأوضاع السياسية والاجتماعية تغيرت الحياة العربية والثقافية أيضاً التي خرجت عن إطار البداوة والبساطة، إلى إطار الزخرف

¹- محمد حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، دط، دت، ص133.

²- المرجع نفسه، ص133.

³- ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص143، 160.

والتصنيع، فأصبحت الحياة متصلة بالأناقة والترف والزينة. وهذا انعكس بشكل مباشر على النثر العربي، الذي تحول من مذهب الصنعة التي تقوم على المباشرة والسهولة والوضوح، إلى مذهب التصنيع الذي غلب على رسائله السجع بأنواعه المختلفة، صار صناعة فنية أصيلة لتجميل العبارة وزخرفة الأساليب، من ألوان البديع كالجناس والطباق والتورية أو غيرها من ضروب البيان التي يتجلى فيها عنصر الخيال كالتشبيه والاستعارة⁽¹⁾.

اهتم بالزخرفة اللفظية وتتميق الألفاظ، ويكون السجع من أهم عناصر مذهب التصنيع ولا يمكننا الحديث عن هذا المذهب دون أن نذكر أستاذ عصره في فن التصنيع، وهو ابن العميد الذي يعد أستاذ عصره في التصنيع لأنه أول كاتب احتكم إلى السجع في كتابته كما احتكم إلى البديع⁽²⁾، الذي كان نموذجاً لمميزات هذا المذهب. وهو أول كاتب احتكم إلى السجع في كتاباته، كما احتكم إلى البديع من جناس وطباق وتصوير، وقد هياها لذلك أنه كان ذا عين تصويرية، بل لقد كان ذا شغف بفن التصوير نفسه. كذلك نمثل لهذا المذهب بالصاحب ابن عباد الذي اتخذ في هذا الفن جميع المفاتيح الموسيقية التي عثر عليها ابن العميد، الذي يولي عناية خاصة بلوني التصوير والجناس.

4-مذهب التصنع والتعقيد: بعد أن اشتد مذهب التصنيع وكثر انتشاره، ظهر مذهب التصنع الذي يقوم أساساً على التكلف في التعبير والمبالغة. وقد مثل شوقي ضيف لبداية هذا المذهب بالخوارزمي، الذي دفعه إلى ذلك قصر الموضوعات التي كان يعالجها، يقول شوقي ضيف: "وانظر إليه يكتب إلى أحد تلامذته فيصف أيامه الماضية معه على هذا النحو: "كانت أرق من حاشية البر، ومن طلوع السعد، وأحلى من إنجاز الوعد، وأعذب من القند، بل من النقد، وأعقب من الورد، وما أردت إلا ورد الخد، بل من المسك والند، وأطيب من القرب بعد البعد، ومن الوصل في إثر الصد، بل كانت أرق من نسيم الزهر، في

¹-ينظر: محمد نجيب حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص166.

²-ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص209.

السحر، ومن قضاء الوطر، على الخطر، بل كانت أقصر من ليل السكاري، أو نهار الحيارى⁽¹⁾.

يظهر منحى التكلف والتصنع الواضح هنا، فأساس هذه التعبيرات كلها أنه يهول ويبالغ في وصف الأيام الماضية وما كان من حسناتها وجمالها، لكن الإطالة في هذه الوصاف والنعوت مقصودة منه ليبين مهارته في صوغ هذه الأسجاع التي تتقابل تقابلاً بديعاً. لينتهي هذا الإفراط في التكلف إلى التعقيد، الذي طبع الكتابة بضروب الغموض والإبهام. ونموذج ذلك، هو المعري. وقد أرجع شوقي ضيف هذا التعقيد الشديد عنده لفراغه الطويل الذي أمضاه في عزله عن الناس.

قد غلا أبو العلاء في استخدام اللفظ الغريب، وإنه يبلغ من ذلك في بعض آثاره أن تصبح وكأنها متن من المتون اللغوية، فهي تجمع كل ما يستطيعه من ألفاظ لغوية غريبة مغرقة في الإغراب، وإنه ليطلب أبعد الكلمات إغراباً مما عثر عليه في الشعر القديم، وليس يهتم بعد ذلك أن تكون الكلمة سجلت في المعاجم اللغوية، بل إن عدم تسجيلها يدفعه إلى أن يسجلها هو في أعماله⁽²⁾. وأعمال أبي العلاء المعري مفعمة بهذا النوع من الكتابة التي تحمل التعقيد والضروب البديعية المعقدة، والأمثال المبهمة، والإشارات المرموزة والمصطلحات العلمية والعروضية وغيرها إلى درجة أنه قد عجز من جاء بعده لحمل هذا التصنع وهذا التعقيد.

5- خلاصة:

زخر النثر في العصر العباسي بتيارات أدبية انفرد كل منها بسر من أسرار البلاغة، ولون من ألوان البيان. هذه التيارات هي التي مهدت لظهور المذاهب النثرية في هذا العصر، ففي بداية العصر كان الأسلوب السائد هو الترسل الطبيعي أو ما يطلق عليه

¹-المرجع نفسه، ص166.

²-المرجع السابق، ص272.

أيضا بمذهب الصنعة الذي كان يتزعمه عبد الله بن المقفع، ثم جاء ما يعرف بالترسل الصناعي والذي يطلق عليه أيضا مذهب التصنيع أو الصنعة البديعة المطبوعة، وكان على رأسه ابن العميد، ثم ما لبثت حتى أثقلت هذه الصنعة في التكلف البديعي وظهر مذهب التكلف والتعقيد الذي أسرف فيه القاضي الفاضل.

المحاضرة الحادية عشرة: من أعلام النثرين والكتاب في العصر العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-ابن المقفع وأسلوبه في الكتابة.
2-الجاحظ وأسلوبه في الكتابة.
3-سهل بن هارون وأسلوبه في الكتابة.
4-ابن العميد وأسلوبه في الكتابة.
5-خلاصة.

أولا-ابن المقفع وأسلوبه في الكتابة.

1-ابن المقفع:

ابن المقفع هو عبد الله بن المبارك المقفع، ولد من أبوين فارسيين بجورستان في قرية تسمى جور، سماه أبوه روزبة بن دادويه، أبوه من أشراف فارس فلما جاء إلى البصرة وكان مجوسيا ولأه الحجاج بن يوسف الثقفي-عندما كان واليا على العراق وبلاد فارس- خراج فارس، فلما مدّ يده وأخذ الأموال استدعاه فضربه ضربا مبرحا حتى تقفعت يداه، فقليل له

المقفع⁽¹⁾.

يبدو أن المقفع ظل مجوسيا مانويا ولم يسلم، وعلى دينه نشأ ابنه روزبة وعني بتأديب ولده كما عني بتعليمه العربية حتى أتقن اللغتين: الفارسية والعربية اتقاناً تاماً، وعرف الكثير من آداب الهند واليونان، ولما نزل البصرة مركز الثقافة العربية آنذاك اتصل بعلمائها واستمع إلى مدرسيها في المساجد، وجالس الشعراء والأدباء وخالط عرب البادية ذوي الفصاحة وجزالة اللفظ وأخذ عنهم اللغة كما احتك باللغويين والشعراء والرواة، ومما ساعده على ذلك اختياره لآل الأهمم موالى له إذ عرفوا بفصاحتهم وبلاغتهم وبيانهم، حتى تمكن من العربية وآدابها وأسرارها، ولعله كان يرتاد سوق المربد في البصرة أشهر الأسواق الأدبية إلى جانب ثقافته الفارسية، فصار علماً في الأدبين العريقين فهو زعيم كتاب الفرس والعرب⁽²⁾. وسرعان ما اشتهر وذاع صيته بين الأمراء والولاة وكان من نصيبه أن اختاره عمر بن هبيرة الأموي وجعله كاتباً لدواوينه، فحصل أموالاً من وظائفه.

يعد ابن المقفع من الأدباء المخضرمين الذي عاصروا الدولتين الأموية والعباسية، ولما قامت الدولة العباسية تمكن ابن المقفع أن يجد مكاناً مناسباً لقدراته فكتب إلى الأمير عيسى بن علي عم السفّاح عبد الله أبي العباس أول خلفاء بني العباس والمنصور أبي جعفر ثاني الخلفاء واختص به، وكان من تأثيره على ابن المقفع أن أقنعه باعتناق الإسلام فجاء إلى عيسى بن علي عم المنصور وقال له: قد دخل الإسلام إلى قلبي وأريد أن أسلم على يدك فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من وجوه الناس فإذا كان الغد فاحضر، ثم حضر طعام عيسى ذلك اليوم، فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم عادة المجوس فقال له عيسى: أترمزم وأنت على عزم الإسلام؟ فقال: أكره أن أبيت على غير دين، فلما أصبح أسلم على يده.

¹-ينظر: محمد نجيب حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص203.

²-ينظر: هاشم مناع ومأمون ياسين: النشر في العصر العباسي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

لعل هذه أول سخطة تؤخذ عليه بأن يدعو بأدعية المجوس وهو على أهبة الدخول في الإسلام، وهذا ما جعل الولاة يشكون في صدق إسلامه، يقول الجاحظ "كان ابن المقفع ممن يتهمون في دينهم" وظل يعمل لدى عيسى بن علي في البصرة إلى أن قتل لأنه كان يُتهم في دينه ويرمى بالزندقة التي كانت سببا في مقتله⁽¹⁾.

يروى أن الخليفة المهدي قال: "ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع"⁽²⁾ والمتصفح لكتب ابن المقفع التي وصلت إلينا لا يجد فيها إشارات واضحة تدل على زندقته، وإن كانت بعض الكتب التي ترجمها تدعو إلى بعض القيم والأخلاق الفارسية باعتباره أمينا في نقل تلك الكتب إلى العربية، ولم تكن دلائل واضحة في مؤلفاته تبين الطعن في دين هذا الرجل وعقيدته إلا ما ذكر من زمزمته في أثناء عزمه على إسلامه، والأبيات التي تمثل بها عند مروره ببيت نار المجوس.

قتل ابن المقفع أيام المنصور وهو كاتباً لعيسى أخي عبد الله بن علي الذي ثار على المنصور سنة. كان في نهاية في الفصاحة والبلاغة، كاتباً شاعراً فصيحاً، أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعا باللغتين فصيحاً بهما واسع الاطلاع على العلوم المختلفة واللغات المتعددة، نقل الكثير من الكتب الفارسية إلى العربية، وكتاب كليله ودمنة من أشهر ما نقل من الفهلوية إلى العربية، هذا الكتاب الذي جاء النصح فيه على أفواه البهائم والطيور. ولابن المقفع الكثير من الكتب المهمة منها المترجم التي وفر فيها الألفاظ المنتقاة وسهولة العبارة وأمانة النقل مع إضفاء جمال الأسلوب، ومنها المؤلف التي جاءت فيها ألفاظ حكيمة ومقاصده من الخلل سليمة وعباراته منتقاة واسعة الدلالة عميقة الأثر.

ومن الكتب المترجمة من الفارسية إلى العربية نذكر: -كتاب خدای نامه (في سير الملوك الإيرانيين) -كتاب آئين نامه (في أنظمة الملك وتدبير السياسة والحكم) -كتاب رسالة

¹-ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص136.

²-هشام مناع ومأمون ياسين: النثر في العصر العباسي، ص12.

تتسر(في أنظمة الملك وتدبير السياسة والحكم)-كتاب كليلة ودمنة(في تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق والوعظ والإرشاد إلى حسن السياسة)-كتاب مزدك نامك(في تعاليمه)-كتاب حياة برزويه-كتاب التاج(في سيرة أنوشروان)⁽¹⁾ .

ومن الكتب المترجمة من اليونانية إلى العربية: ترجم كتب أرسطو طاليس المنطقية. ومن كتبه المؤلفة: كتاب الأدب الصغير: يتضمن مجموعة من الوصايا الأخلاقية والاجتماعية التي ترشد الناس إلى إصلاح حالهم وفي علاقاتهم بغيرهم من الأصدقاء والناس والسلطان. وكتاب الأدب الكبير: يتضمن الكثير من المفاهيم التي تدور حول السلطان، وما يتصل بشؤون السياسة والحكم، وما يتصل بصفات الصديق الصالح والصدقة. وكتاب رسالته في الصحابة: وهي رسالة إصلاحية يبدأ فيها بالسلطان، ثم صحابة السلطان أو بطانته والمجتمع عموما والقضاء والجيش. كتبه إلى الخليفة المنصور وكأنه يضع له دستورا للحكم.

2- أسلوبه في الكتابة:

لعلنا نبالغ إذ قلنا: إن ابن المقفع يعد الممثل الحقيقي للتطورات النثرية الجديدة والمؤلف الأول للإنشاء الأدبي في اللغة العربية، حيث كانت له طريقته الخاصة التي تعتمد على التنويع وتقطيع الجمل والمزاوجة بين الكلمات، وتوخي السهولة والعناية بالمعنى وتحمل كتابته النثرية عدة خصائص منها: أنه لم يحفل كثيرا بزينة اللفظة إلا ما جاء منه اضطرارا في حنايا سطوره.

كان صاحب الأسلوب الجديد السهل الممتنع الذي يخضع للمعنى العميق، والهدف البعيد حيث أعجب بالأسلوب القرآني، فاستعار من ألفاظه ومعانيه قصص كليلة ودمنة، ونوع بين الأساليب الخبرية والإنشائية للتشويق، ومن حيث المعاني فمعانيه غزيرة لعبت دورا كبيرا في تنويع وتطويع الأسلوب عنده بين الإيجاز والاقتصار الشديد، والأفكار عنده

¹-المرجع السابق، ص18.

دقيقة ومنطقية ومرتبطة ومتراصة تتنوع بين الأفكار الاجتماعية والسياسية والعقلية التي لم تكن سائدة بين كتاب عصره.

وأما عن صورته وأخيلته فقد استطاع المواءمة بين الأخيلة والصور الفارسية وذوقه العربي بما يشهد له بمقدرته الاندماجية على الخلق والتأصيل والتجديد في البيان العربي⁽¹⁾. تتميز الكتابة النثرية عند ابن المقفع بعدة خصائص، حيث أجمع القدماء والمحدثون على بلاغة ابن المقفع، حيث استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته من تراث عقلي وتاريخي وفلسفي وأدبي إلى اللغة العربية. وهذه البلاغة التي تميز أسلوبه تعددت مصادرها من حيث الأفكار والألفاظ وطريقة الكتابة⁽²⁾. ومن أهم خصائصه الكتابية نذكر ما يلي:

1- **السهولة:** تتميز نصوص ابن المقفع بسهولة الألفاظ، ويسر العبارات وتسلسل التراكيب، يجعل من أفكاره ملكا لعامة للناس دون أن يخل بالسبك اللغوي الرصين. فأسلوبه شفاف، يقوم على الاسترسال العذب، بما فيه من كلمات قريبة إلى الذهن، وعبارات مبسطة حسب الأغراض والمعاني التي كان ينقلها⁽³⁾، ويكفي أن هذا الكاتب قد ترجم أو ألف آثاره الأدبية، في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، في وقت كان الكتاب فيه يعتمدون على التوعر اللفظي الذي يحتاج من القارئ اللجوء إلى المعاجم اللغوية، في حين أننا نجد هذا الأسلوب الذي كتب به ابن المقفع سهلا بسيطا، لا إغراب فيه⁽⁴⁾.

2- **الإيجاز:** يعتمد ابن المقفع الجمل القصيرة المتلاحقة تأتي الألفاظ على قدر المعاني دون زيادة مملة أو نقص مخل، فكأنه يزن ألفاظه بميزان، ولذلك كان كثيرا ما يقف إذا ما كتب، فسأله أحدهم عن ذلك، فقال: إن الكلام يزدحم في صدري فأقف لتخيره والدليل على

¹- ينظر: محمد نجيب حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص 213.

²- ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 142.

³- ينظر: المرجع السابق، ص 144.

⁴- ينظر: هشام مناع ومأمون ياسين: النثر في العصر العباسي، ص 44.

ذلك عنوان حكاية: السائح والصائع، فالسائح رمز الحدث والصائع رمز النتيجة، الذي اختاره بدقة، كما كان يعتمد على الجدل المنطقي في الإقناع، ومثال على ذلك قوله: "فكذلك العاقل لا ينبغي له أن يصطفي أحدا ولا يستخلصه، إلا بعد الخبرة، فإن من أقدم على مشهور العدالة من غير اختيار كان مخاطرا في ذلك⁽¹⁾."

3-البعد عن السجع والصور البيانية: لم يستخدم السجع الذي هو في النثر كالكافية في الشعر؛ لأن نصوصه مترجمة والكاتب مقيد بأفكارها المحدودة، فلا يتيح له ذلك استعمال المحسنات عامة والسجع خاصة ومن المعروف أن السجع يكون أحيانا على حساب المعنى، وأما بعده عن الصور البيانية إلا بما جاء به عفو الخاطر.

4-الإقلال من المترادفات: يتميز أسلوب ابن المقفع بالألفاظ المفردة التي يحمل كل منها معنى خاصا به، لا يستعيره من غيرها ولا تحمل الترادف إلا إذا دعاه الموقف إلى تثبيت فكرة أو شرح معنى يحس بأنه لم يوفه حقه فحينئذ يلجأ إلى الترادف الذي يثبت المعنى ويشعره بطمأنينة وصوله إلى أعماق الآخرين⁽²⁾.

5-الحوار: يستعمل الكاتب أسلوب الحوار عادة للإطالة فتمتد مساحته في النص ويكون الغرض منه دفع السامة والملل في مواقف تكون القصة فيها طويلة متفرعة، والحوار مكون أساسي في مثل هذه القصص ويعد من طبيعة الحوادث والشخصيات التي يتمثلها الكاتب ثم يحركها وينطقها، وعموما يستعمل الحوار على السنة الحيوانات يكون النقاش فيه معتمدا على تقديم الأدلة وإقامة الحجج بكل منطق وعقلانية.

ثانيا-الجاحظ وأسلوبه في الكتابة:

1-الجاحظ:

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، كنيته أبو عثمان ولقبه الجاحظ، لقب

¹-ينظر: المرجع نفسه، ص44.

²-ينظر: المرجع السابق، ص45.

بذلك لأن عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء. اختلف في أصله فهناك من يقول: إنه عربي خالص النسب، وهناك من يقول إنه كنانى بالولاء من أهل البصرة. اختلف أيضا في تاريخ ولادته؛ لكن الدارسين يكادون يتفقون على أنه ولد في حدود سنة 150هـ بالبصرة، فياقتوت الحموي أورد خبرا عن الجاحظ أنه صرح قائلا: "أنا أسنّ من أبي نواس بسنة ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها"⁽¹⁾.

كانت الحياة الاجتماعية المحيطة به صعبة وخاصة حياته الخاصة، فقد كان وهو في حداثته يشتغل بالعلم ترعاه أمه، كان يعاني الفقر المدقع فاضطر إلى أن يبيع الخبز والسّمك، ولم يحل هذا دون متابعته للتحصيل العلمي، فقد كان يتردد كثيرا على مربد البصرة يأخذ عن العرب شفاها وأولع بالقراءة، فقد كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للمطالعة، ويثبت فيها النظر، وكان داهية في قوة الحفظ⁽²⁾.

كان الجاحظ كثير الاختلاط بالعلماء على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم فقد أخذ اللغة والأدب عن أبي عبيدة والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن صديقه الأخفش، وأخذ علم الكلام عن أستاذه النظم، ونهل من كل الثقافات غير العربية من يونانية وفارسية وغيرها. لكن نرى الجاحظ بعد الفقر الذي عاشه قد حصل على الأموال وبنى البيوت، وامتلك الأراضي واقتنى العبيد وأخذ يتصل بالوزراء ويتنقل في البلاد فيعيش في بغداد زمنا ويرحل إلى دمشق وأنطاكية. كل هذا أورثه من الثقافة قيما ليست من نوع ما يؤخذ من الكتب والدفاتر، وأورثه معرفة بطبائع الناس وأخلاقهم وطرائق معاشهم وفضائلهم ورذائلهم. لذلك كان غزير التأليف في مختلف الموضوعات.

عاصر الكثير من الخلفاء فقد ولد في خلافة المهدي، وكان صبيا في خلافة الهادي،

¹-المرجع نفسه، ص77.

²-ينظر: محمد نجيب حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص266.

وأنته خلافة الرشيد وهو شاب وشاهد الصراع بين الأمين والمأمون، وكان ناضجا وقت سلطة المعتزلة في عصر المأمون، واتصل بما كان في أيامه من حركة علمية وفلسفية، وفي كل ذلك شاهد سلطان الفرس وغلبتهم، وشاهد في أيام المعتصم سطوة الترك وحلولهم محل الفرس، كما شاهد دولة الواثق وسيرة المعتصم والمأمون في مناصرة الاعتزال، وحضر دولة المتوكل، وقد أبطل دولة المعتزلة ومرت عليه دولة المنتصر والمستعين والمعز وهو يعاني الفالج والنقرس إلى أن مات في خلافة المهدي بالله. فتاريخ الجاحظ قرن كامل كما يقول أحمد أمين.

تذكر الروايات أن الجاحظ أصيب بمرضين متناقضين هما الفالج والنقرس، يروى عن المبرد أنه قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو حُرَّ بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر مُنْقَرَس لو طار الذباب بقربه لآلمه، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها، وقال لمتطبب يشكو إليه علة: اصطلحت الأضداد على جسدي، إن أكلت باردا أخذ برجلي، وإن أكلت حارا أخذ براسي. توفي الجاحظ سنة خمس وخمسين ومئتين (255هـ) في البصرة⁽¹⁾.

للجاحظ تواليف كثيرة معظمها مفقود، يقال: إن ابن النديم سرد كتب الجاحظ وهي مئة ونيف وسبعون كتابا وفي فنون مختلفة، ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبها منه، ولا شك أن كتب الجاحظ نالت إعجاب العلماء والأدباء؛ إذ أخذوا عنها ونهلوا منها يقول ابن العميد: "تعلم العقل أولا، والأدب ثانيا" وقيل هو نسيج وحده في جميع العلوم، جمع بين علم الكلام والإخبار، والفتيا والعربية وتأويل القرآن، وأيام العرب مع ما فيه من الفصاحة.

وله مصنفات نافعة في التوحيد وإثبات النبوة، وفي الإمامة وفضائل المعتزلة. يقول ابن خلدون: سمعنا من شيوخنا في مجالس العلم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة

¹-ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص160.

دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عليها. ومن أهم آثاره: البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء، ورسائله⁽¹⁾.

2- أسلوبه في الكتابة:

يعد أدب الجاحظ نتاج عقلية خصبة ومرآة صادقة لثقافته الواسعة التي كادت تستوعب كل علوم عصره، تميزت شخصيته بحس أدبي مرهف جعله يميل إلى إتباع طريقة خاصة اشتهر بها فعرف أنه يجمع في كتابته بين التلوين العقلي والتلوين الموسيقي، لأن مخزونه اشتمل على كثير من الثقافات المختلفة، كما اجتمع أيضا على معرفة خفايا المجتمع الذي عاش فيه وما يحمله من أخلاق وعادات وما يتصل بطبقاته الشعبية من لصوص ومُكدين ورقيق وقيان، وما يتصل أيضا بطبقاته العليا من تجار وموظفين في الدواوين، وعلماء وشعراء، ثم ما يتصل بالطبقة العليا الحاكمة من خلفاء ووزراء وأمراء وقضاة، وكذلك ما يتصل بالطبيعة من حيوان ونبات، ومن العجم والغرب وفضائل الشعوب، كما طبعت كتاباته بتيار منطلق من الواقع بكل أشكاله وألوانه⁽²⁾.

تناول الجاحظ الموضوعات التي تقترب من الحياة التي خَبَرها بنزعة العقلية المتزنة مازجا الجد بالهزل، غير قاصر كلامه على الموضوع الذي يعالجه؛ بل يستطرد إلى موضوعات أخرى ثم يعود إلى موضوعه الأول، وهو كذلك يعنى بأسلوبه عناية فائقة مركزا على توافق ألفاظه للموضوع الذي يتكلم فيه، أو ما يسميه في كتابه البيان بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهو يحاول أن يستخدم ألفاظ كل طبقة من المجتمع يتحدث عنها بكل واقعية.

كل ما يميز أسلوبه هو الميل إلى الازدواج فيوازن بين العبارات توازنا دقيقا حيث

¹-ينظر: هشام مناع ومأمون ياسين: النثر في العصر العباسي، ص 80، 81.

²-ينظر: محمد نجيب حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص 277.

تتلاحق في صفوف متقابلة، كما يتميز أسلوبه بالميل إلى التكرار وكثرة الجمل الدعائية، وله مقدرة على توليد المعاني، يساعده في ذلك تمكنه من علم الكلام وعلم المنطق وقوة عقله. نستطيع أن نجمل بعض خصائص أسلوبه في أربعة حيث لا تقرأ أي أثر من آثاره إلا وتجد هذه العناصر لصنعتة ماثلة، وهي: الواقعية، والاستطراد، والتلوين العقلي، والتلوين الصوتي.

1- الواقعية: يشغف الجاحظ بحكاية الواقع، فلا يتستر ولا يتخفى حتى أنه ليذكر السوءات والعورات في غير موارد ولا مداجاة، يذكر الحقائق عارية دون أن يسدل عليها أي ستر أو أي حجاب، ويرى أنه من يعدل عن ذلك فهو صاحب رياء ونفاق، وبهذا فهو ممن ينتمون إلى مذهب الواقعية الذين يصفون الحياة كما هي دون تحوير إلا في حدود التعبير الفني فأعماله مراجع تكشف لنا حقائق عصره الذي عاش فيه بكل ما فيه من طهر ووزر ودين وزندقة وجد ولهو، وتراه أحيانا يبالغ حتى أنه ليروي كلام المجانين وكلام أهل الغفلة من النوكى والحمقى، فيريد أن يجعل الأدب صورة من الواقع.

يعرض لنا في كتابه البخلاء مثلاً حكاية عن بخلاء عصره من مثل سهل بن هارون والكندي والحرثي في غير تصنع ولا مداراة، يستعين في كتاباته بمفكرة الحاضر لينقل لنا المجتمع بكل طبقاته وخصائصهم النفسية، هذا الأسلوب ينزع إلى الواقعية لا يحفل كثيراً بالتشبيهات والاستعارات إلا ما جاء عفو الخاطر أو كان الغرض منه تمثيل الواقع، فلم يعمد إلى زينة لفظية عشقا للزينة، وهو يعرف كيف ينقل المشاهد بجميع تفاصيلها. يتكأ في ذلك على قدرة الملاحظة التي تجعله يحسن التصوير كما يحسن فن القصص⁽¹⁾.

2- الاستطراد: إذا كانت الواقعية عنصراً أساسياً في أعمال الجاحظ فإن الاستطراد عم آثاره، فمن يقرأ للجاحظ يلاحظ التشعب في التأليف، فهو ينتقل بك من باب إلى باب، ومن

¹ - ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 162.

خبر إلى خبر، ومن شعر إلى فلسفة، ومن جد إلى هزل، يقول المسعودي في كتابه مروج الذهب: "وقد كان الجاحظ يتخذه منها في تأليفه وخاصة في حيوانه وبيانه، واعترف به مرارا واحتج له"، وتأتي هذه الظاهرة الفنية في كتبه لثقافته الواسعة بجميع معارف عصره من هندية وفارسية ويونانية وإسلامية وعربية، وإن القارئ ليعجب إذ يقرأ الصفحة من حيوانه فيجد هذه الثقافات كلها قد وضع بعضها بجانب بعض، وكانت تتطرق إليه سيول المعرفة من كل واد فيتركها تنزلق إلى آثاره على سجيته⁽¹⁾.

3- التلوين الصوتي: يعنى الجاحظ بأصواته عناية تقضي إلى ضروب مختلفة من الإيقاعات الصوتية، ولم يكن يستعين على تحميل هذه الإيقاعات بشيء من البديع وألوانه بل كان يكتفي بها لتعبر عن جمال الأسلوب كثيرا من الإيقاعات الصوتية كالترداد، والترداد، انظر كيف يستهل حيوانه: "جنّبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسا، وحبب إليك التثبّت، وزين في عينيك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذلّ اليأس، وعرفك ما في الباطل من ذلّة، وما في الجهل من قلة"⁽²⁾.

يحاول في نغماته أن يجود لفظه ويسعى إلى إحداث ضروب من التوقيع حول معادلة الألفاظ معادلة لا تنتهي إلى السجع؛ ولكنها في الأغلب تنتهي إلى التوازن الصوتي الدقيق فكل جملة تقابل أختها في موازين الجاحظ الموسيقية، وهذا اللون الموسيقي يسميه القدماء ازدواجاً، ونسميه إيقاعاً وتلوينا صوتيا بديعيا، ومثال ذلك "الكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حُشي ظرفا، وإناء شُحن مزاحا وجداً، وإن شئت كنت أبين من سحبان وائل، وإن شئت كنت أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن

¹-ينظر: المرجع نفسه، ص166.

²-ينظر: المرجع نفسه، ص170.

شئت أشجبتك مواعظه⁽¹⁾ .

4-التلوين العقلي: تربي الجاحظ في بيئة المتكلمين على يد أستاذه النظام فأخرجه لسنا جدلاً، يعرف كيف ، وكيف يستعين بالمنطق الصحيح ليدعم رأيه وينصر فكرته، كما يعتمد الجاحظ على صحة الأدلة وصدق المقدمات، فهو دائماً يعرض أفكاره في صورة حجاج يقوم على براهين وأدلة ومقدمات وأقيسة، لأنه ينتمي إلى مذهب الاعتزال⁽²⁾.

ثالثاً-سهل بن هارون وأسلوبه في الكتابة:

1-سهل بن هارون(ت205هـ):

هو سهل بن هارون بن راهيون الدَّسْتُمِيسَانِي يكنى أبا عمرو من أهل نيسابور يرجح أنه ولد فيها، فهو فارسي الأصل من الذين دخلوا في الحياة العربية بالاستعراب، ويعتقد أنه ولد في منتصف القرن الثاني الهجري، انتقل إلى البصرة في مرحلة مبكرة من حياته ونزل دستميسان وإليها ينسب، ثم أخذ ينهل من الثقافات المنتشرة هناك في المدارس والمساجد والحلقات، فأتقن العربية وعرف أسرارها وسبر أغوارها، ودفعه ذلك إلى ترجمة بعض الرسائل عن لغته الأم التي كان يتقنها تماماً.

مزج بين الثقافتين الفارسية والعربية مما أنتج عملاً فنياً رائعاً ترك بصماته عليه وطبعه بثقافته وخصه بطريقته المتميزة، ومن يستعرض أسماء كتبه يستطيع أن يستشف ثقافته من خلال تلك الآثار التي خلفها لنا، ويروى أنه قال الشعر وهو صغير، قصد بغداد لأنها عاصمة الدولة ومركز العلم والعلماء وملجأ الأدباء ليحصل عن شيء من العلم والمجد والشهرة.

تقرب من يحيى البرمكي وزير الرشيد وألحقه بالدواوين، وكان من حسن حظّه أن الرشيد أسس دار الحكمة ببغداد فعينه بها للإشراف على بعض الكتب وبعض ما يترجم

¹-المرجع السابق، ص169.

²-المرجع نفسه، ص172.

فيها من الآداب الأجنبية، إذ كان أحد النقلة النابهين من لسانه الفارسي إلى العربية، ثم استغل علاقته مع البرامكة إلى أن اتصل بالمأمون فأعجب ببلاغته وعقله فجعله كاتباً في خزانة الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نقلت إلى المأمون من جزيرة قبرص.

اغتنب بها المأمون وأمر العلماء بتعريبها وجعل سهلاً خازناً لها، بقي سهل يؤلف إلى أن توفي سنة 205هـ. أجمعت المصادر على أن سهل بن هارون كان نهاية في البخل وله حكايات كثيرة منها ما أورده دعبل الخزاعي الشاعر بقوله: "كنا عند سهل بن هارون فأطلقنا القعود عنده حتى كاد يموت جوعاً ثم قال: ويحك يا غلام غدنا، فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ فتأمل ثم قال: أين الرأس؟ فقال: رميت به، فقال: والله إني لأمقت من يرمي برجليه فكيف برأسه؟ أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصدق الديك، ولولا صوته ما أريد، وفيه عرفه الذي يتبرك به، وعينه التي يضرب بها المثل، في الصفاء، فيقال: شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم تر عظماً أهش تحت الأسنان منه، وهل ظننت أنني لا آكله أن العيال لا يأكلونه؟ وإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق؟ انظر لي أين هو؟ فقال: والله ما أدري أين هو؟ فقال: والله أنا أدري أين، رميت به والله في بطنك، فالله حسبك".

كان سهل يدافع عن البخل ويعجب به وهذا ما دفعه إلى تأليف كتاب يمدح فيه البخل ويذم الجود ليظهر مقدرته وقدرته على البلاغة وأهداه إلى الحسن بن سهل في وزارته للمأمون فوقع عليه: "لقد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبّح الله، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنالك وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه فما نعطيك شيئاً"⁽¹⁾. خلف سهل بن هارون كثيراً من المؤلفات لكن لم يصل إلينا منها أي مؤلف سوى ما ذكرته بعض المصادر في ثناياها من مقتطفات.

¹-ينظر: هشام مناع ومأمون ياسين: النشر في العصر العباسي، ص67.

ومن هذه الكتب: -كتاب ديوان الرسائل-كتاب النمر والشعلب- كتاب أسباسيوس في إتخاذ الإخوان-كتاب أسل بن أسل- كتاب شجرة العقل- كتاب تدبير الملك والسياسة- كتاب إلى عيسى بن إبان في القضاء- كتاب الضرر- كتاب الغزالين- كتاب ثُغلة وعُفرة (على منوال كليلة ودمنة)- كتاب الهذلية والمخزومي- كتاب الوامق والعذراء-كتاب الضرتين⁽¹⁾. وهذا نموذج من رسالة سهل بن هارون في البخل "بسم الله الرحمن الرحيم، أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير وجعلكم من أهله؛ قال الأحنف بن قيس: يا معشر بني تميم، لا تُسرعوا إلى الفتنة فإنَّ أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياءً من الفرار، وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عيّا، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب، أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيح أن تنهي مرشداً وأن تغري بمشقق".

2-أسلوبه في الكتابة:

يعتمد سهل بن هارون في كتاباته على الجدل والحوار، كما يعتمد إلى ضبط ألفاظه إيقاعيا حتى تتوازن في شكل مسجوع وفي تقطيعات دقيقة، فهو يستهدف ضروبا من التوافق الصوتي في اللفظ، حتى تستقيم لأسلوبه فنون الجمال المادي الذي يؤثر في المتلقين؛ فيحرك وجدانهم وعواطفهم بذلك التشكيل اللفظي النغمي، وفي معانيه يرتكز إلى أدوات الحجاج والجدل والتماس البراهين والأدلة في عرض أفكاره.

يقترن أسلوبه السهل المفعم بالتقطيع الصوتي بعنصر آخر وهو الترادف في تراكيبه، لكنه ترادف لطيف وعلى هذا النحو كانت تتدمج الخصائص الموسيقية مع الخصائص العقلية التي تظهر جلية في جدله وحواره، هذا التلوين العقلي أحدثته ثقافته الفلسفية وتأثره بالمنطق الأرسطي، فكثيرا ما التمتعت معانيه من شيات من التأمل والعقل الدقيق كما التمتعت عليها شيات أخرى من التوقيع والترادف الموسيقي، بهذا هو يتأثر ببيئة المتكلمين

¹-المرجع السابق، ص 69.

التي نشأ فيهم، وكأنما كان أسلوب العصر الذي يعيشه هو أسلوب الجدل والحوار. ومن النماذج التي تشهد على ذلك عند سهل ما يروى أن شخصا مدح الذهب فأطنب، ثم قام النظام فمدح الزجاج فأطنب، فاعترضهما سهل يفضل الزجاج على الذهب في رسالة طويلة جاء فيها: "الزجاج مجلّو نوري، والذهب متاع سائر، والشراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن، ولا يُفقد معه وجه النديم، ولا يُثقل اليد، ولا يرتفع في السّوم، واسم الذهب يتطير منه، ومن لؤمه سرعته إلى اللّثام، وهو فاتن فاتك لمن صانه، وهو أيضا من مصايد إبليس، ولذلك قالوا: أهلك الرجال الأحمران، والزجاج لا يحمل الوضّر، ولا يتداخله الغمر، ومتى غسل بالماء وحده عاد جديدا، وهو أشبه شيء بالماء، وصفته عجيبة وصناعته أعجب"⁽¹⁾.

المعاضلة (هي التعقيد والتصعيب وتركيب المعاني فوق بعضها) في المعنى سمة هذا النص الغالبة، لأن تفضيل الزجاج على الذهب لا يتصور في الذهن إلا بالمعاضلة والمغالطة، فقد تحدث الكاتب عن محاسن الزجاج لكنه لم يستطع مقارنة كل حسنة من حسنه بمحاسن ذهب، بل جمع بعضها فوق بعض وقدمها للقارئ كتلة واحدة ليظهر مقدرته على الكلام والبيان وإقامة الحجة وتقديم البرهان.

طريقة الكاتب سهل في الحجاج لا تبتعد عن طريقة الجاحظ إذ كان يركب هذا المركب في كل ما يكتب ويؤلف. وعموما فالكاتب يعتمد على التلاوين العقلية والصوتية في غير مشقة ولا تكلف، وهو كاتب مقتدر على صوغ اللفظ وتحبيره والاتساع به حتى يؤدي ضروبا من التوقيع الصوتي، والترادف العقلي، ولا شك أن ذلك خطوة نحو أسلوب الجاحظ الذي هو الآخر -كما رأينا- ينهض بهذه التلاوين العقلية والصوتية، ومهما يكن فقد كان سهل يوفر لألفاظه ولمعانيه عناية واسعة وهي عناية جعلته احد بلغاء عصره في صنع الرسائل الطويلة وتحبيره.

¹-المرجع السابق، ص75.

رابعاً-ابن العميد وأسلوبه في الكتابة:

1-ابن العميد(ت360هـ):

هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن العميد، ولقب بألقاب أخرى كالجاحظ الثاني وقيل الجاحظ الأخير، والأستاذ والرئيس، ولسان المشرفي، كان جده نَحَلاً في سوق الحنطة بمدينة قم الإيرانية، وكان أبوه قد خدم ركن الدولة الحسن بن بويه، ولقب بالشيخ كما لقب بالعميد حتى أصبح وزيراً مرموقاً مرهوب الجانب، ولد ابن العميد في بيت فضل وعلم وجاه وصدارة في السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري، تشيع على المذاهب الإمامية، ومات سنة 360هـ⁽¹⁾.

أخذ العلم من مجالس بغداد وحلقات درسها، لذلك كان يعشقها ويحب رجالها وعلماءها ويفخر بحضارتها، ولم يزل ابن العميد يزداد علماً وفضلاً وبراعة، واستقر في وزارة ركن الدولة بن بويه سنة 320هـ، وكان دون الثلاثين من عمره، فقد أُنْتُه السعادة في صباه وتمت أدوات علمه وأدبه وهو يتولى أعمال الدولة، ودعي ابن العميد بالأستاذ الرئيس لجمعه بين الإمارة والأدب، ففتح أبوابه للعلماء والأدباء، ولم يدخر مالا من أجل الجزل في العطاء، فكان الشعراء يتبارون في حضرته أمثال المتنبي والحسين بن الحجاج وغيرهما⁽²⁾.

كان ابن العميد عاقاً لأبيه لا يرجي خيره أو يؤمل رشده، وتذكر المصادر: أن والده كان يقول: "ما قتلني إلا ولدي وما أخاف على بيت العميد أن يخرب ويهلكوا إلا منه فكان على ما ظن"⁽³⁾. اتهم ابن العميد بتعصبه للفرس على العرب وهو ممن دخل في قضية الشعوبية لكنه أنكر تعصبه للعجم على العرب، وقد يكون صادقاً في إنكاره لأنه كان مغرماً بالعرب ومحباً للعربية.

¹-المرجع السابق، ص115.

²-ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في العصر العباسي، ص205.

³-هشام مناع ومأمون ياسين: النثر في العصر العباسي، ص117.

هناك بعض المصادر قد جعلته من أصل عربي فهو أقرب إلى العروبة في أكثر مناحيه ولم تكن فارسيته مقصورة إلا على بعض مصطلحاته وعاداته⁽¹⁾. لم تكن ثقافة ابن العميد تقتصر على فنون الأدب شعره ونثره؛ بل كان ذو ثقافة واسعة عميقة مختص بالفلسفة والنجوم والسياسة والحرب وبغرائب العلوم الغامضة كعلوم الحيل والهندسة والطبيعة.

2- أسلوبه في الكتابة:

ابن العميد هو من أعطى الكتابة الفنية في عصر بني بويه صياغتها المنهجية والجمالية التي ظلت الأجيال المتتالية، والملاحظ لكتابات ابن العميد، أنها أشبه بلوحات فنية تتناسق فيها الألوان، وتتكامل في فروعها الفروع والأغصان، ورسائله عموماً مثال مجسم للزخرفة اللفظية والمعنوية، والصور الماثلة، فهو دائماً يبتدئ بالزخارف والمحسنات اللفظية والمعنوية التي استوحاها الكاتب من بيئته وجمال طبيعته، إضافة إلى ذلك رغبته وولعه بالفن والتصوير، فالكاتب يعتمد على السجع الذي هو توافق الفاصلة بين جملتين وأحياناً أكثر من جملتين في الحروف الأخيرة كما في رسالته (صداقة وشوق) التي يقول فيها: "لعددتها من الأحوال الجميلة، ولعددت حظي منها في النعم الجليلة وفي قوله: جمعت فيها بين سلامة عامة، ونعمة تامة"⁽²⁾ وعادة ما يتخلل جملة الجنس فيتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى⁽³⁾. فالكاتب يزاوج بين المحسنات البديعية والصور البيانية غير المتكلفة كالاستعارة وغيرها من أفويق البيان فنصوصه مفعمة بالجناس والطباق والإطناب، وإلى غير ذلك من ألوان البديع.

كما يوظف التوازنات الصوتية وحسن التقسيم إلى يزيد عباراته رونقا وجمالا ووقعا موسيقيا، يذكر في رسالته (التهديد واللوم) لابن بلكا التي يثنيه فيها عن تماديه في معصية

¹-ينظر: المرجع نفسه، ص117.

²-المرجع السابق، ص125.

³-ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص207.

ركن الدولة ويطلب منه أن يعود إلى طاعة الأمير، يقول فيها: "وانأ متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك" ويقول: "إقبال عليك، وإعراض عنك" ويقول: "فيك ومنك، وعليك وعنك" ويقول: "سابق حرمة، وسالف خدمة"⁽¹⁾ ففي رسالته يتعدد الافتنان فيأتي الكاتب بفنين بلاغيين أو أكثر كتعدد المقابلات والمحسنات والصور والإطناب، فيكرر ذلك بقصد الإقناع وإقامة الحجة، فتتماشى هذه الطباقات على أنغام السجع في رسائله، وفق توافق بين اللفظ والمعنى في عبارات قصيرة، وسجعه يثبت تأثره بفواصل القرآن قصيرها وطويلها⁽²⁾.

يمكن القول: إن ابن العميد يستخدم في أسلوبه علوم البلاغة الثلاثة من بديع وبيان ومعان، ويتكأ على هذه الأساليب بعد مران طويل ودربة كبيرة تظهر في كتاباته وكأنها تأتيه عفو خاطر غير مصطنعة ولا متكلفة، واللغة طيعة في نثره، فالي جانب جزالة أسلوبه يلاحظ قوة السبك ووضوح المعنى وترابط الأفكار وتسلسلها وبساطة العبارة القائمة على حسن اختيار اللفظ. وإذا أردنا أن نلخص أسلوبه، وما يتميز به من خصائص فنية نوجزها في ما يلي:

1- يهتم ابن العميد باللفظ اهتمامه بالمعنى مع توظيف الجمل القصار، وهو في ذلك متأثر بالجاحظ.

2- الالتزام بالسجع غير المتكلف والعناية بالمحسنات مع الاحتفاظ بروق العبارة وسلامة الألفاظ ونفاسه المعنى.

3- الإطناب بذكر الجمل والألفاظ المترادفة لتحقيق الإيقاع الموسيقي، حيث أنه يبسط الفكرة ويوضحها ويقسم الموضوع إلى أجزاء.

4- كثرة الاقتباس بالقران الكريم وأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-

¹- هشام مناع ومأمون ياسين: النثر في العصر العباسي، ص129.

²- ينظر: المرجع السابق، ص132.

5- الاستشهاد بالشعر والحكم وتضمين الأسلوب بالأمثال من أقوال المتقدمين.

6- كثرة الصور البيانية ولا سيما الاستعارات التصريحية والكنائيات اللطيفة.

خلاصة:

توشحت الكتابة الفنية في عصر بني العباس بعدد لا يحصى من الكتاب الذين لمعت أقلامهم في سماء النثر الأدبي، وتعددت أساليبهم في الكتابة، وارتقت إلى مدارس فنية ومن أبرز هؤلاء الكتاب: ابن المقفع، والجاحظ، وابن العميد، وبديع الزمان الهمذاني، والقاضي الفاضل، وسهل بن هارون.

المحاضرة الثانية عشرة: فن المقامات في العصر العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-المقامة: المصطلح والمفهوم.
2-مؤثرات كتابة المقامة.
3-المقامة عند بديع الزمان الهمذاني.
4-المقامة عند الحريري.
5-المضمون الاجتماعي والأخلاقي في المقامات.
6-خلاصة.

1-المقامة: المفهوم والمصطلح:

خطا النثر العربي في العصر العباسي خطوات جبارة، وذلك بفعل عدة عوامل ساهمت في رقيه وازدهاره، إذ شجع الخلفاء الحركة العلمية وعملية الترجمة والنقل من الأمم الأخرى، فاتسعت دائرة الفنون واستحدثت فيها ألوان جديدة، فظهر إلى الوجود ما عرف حينها بفن المقامة، هذا الفن الذي أثرى الفنون النثرية والأنواع المعروفة آنذاك. ومصطلح المقامة في معاجم اللغة عند العرب يحمل عدة معان أشهرها: المجلس، الحديث، الخطبة، الجماعة... يقول ابن منظور: "المَقَامُ والمَقَامَةُ الموضع الذي تقيم فيه، والمَقَامَةُ بالضم الإقامة، والمَقَامَةُ بالفتح: المجلس والجماعة من الناس"⁽¹⁾. ولقد وردت في قول الشاعر العربي لبيد بن ربيعة العامري:

¹-ابن منظور: لسان العرب، مادة (ق.ا.م).

عَفَّت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
ومعنى مقامها في البيت الشعري الموضع، واستعملها زهير بن أبي سلمى بمعنى السادة
في قوله:

وفيهـم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل⁽¹⁾.

والملاحظ من التعريفات اللغوية لمصطلح المقامة أن المقامة هي المجلس الذي يجتمع فيه
الناس لسماع ما يدور فيه من حديث، وأخبار، وقصص، وأشعار، ثم تطور هذا المعنى
عبر العصور الأدبية حتى أصبح في القرن الرابع الهجري يطلق على فن معين قائم بذاته
له قواعده وأصوله على يد بديع الزمان الهمذاني.

والمقامة في الأصل المجلس، ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات
على حكاية ذات أصول فنية، واصطلاحاً: هي قصة قصيرة خيالية، أنشئت بعبارات
مسجوعة غالباً، محلاة بأنواع البيان والبديع، يسودها حوار درامي تحتوي على مغامرات،
يرونها راو عن بطل، قد يكون هذا البطل شجاعاً يقتحم أخطاراً وينتصر فيها، وقد يكون
ناقداً اجتماعياً أو سياسياً أو فقيهاً متضلّعاً في مسائل الدين أو مسائل اللغة، لكنه في كل
الحالات تقريباً متسول ماهر ولوع بالملذات مستهتر، يحتال للحصول على المال ممن
يخدعهم، ثم هو دائماً أديب جيد في أسلوبه عن بديهة وارتجال⁽²⁾.

يدور موضوع المقامة حول حدث واحد متخيل، وشخصياتها الثانوية محدودة،
ويؤدي دور البطولة فيها بطل محتال، ويشاركه راوية يتعرف إليه إثر كل مغامرة ويرويها
عنه، وتقع أحداثها في حدود مدينة أو منطقة واحدة، وفي زمن لا يتجاوز مقدار يوم وليلة،
وهي بذلك تعد عملاً أدبياً يتخذ القالب القصصي طابعاً عاماً، ولغة المقامة تميل إلى

¹ -عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص476.

² -ينظر: مارون عبود: أدب العرب، ص235.

السجع، ولها راو وبطل»⁽¹⁾.

- مؤثرات كتابة المقامة:

أ- مؤثرات فنية: هي قصص الوعاظ وأحاديث الأعراب التي تقوم على الكدية ووصف الجوع والفقر، والحكايات التي سجلها الجاحظ في غير كتاب من كتبه، وكلها تدور حول البخلاء والمكدين واللصوص والظرفاء والشطار.

ب- مؤثرات اجتماعية: هي عصر بديع الزمان الهمذاني الذي كثر فيه أهل الكدية، وظهر الساسانيون، وهم طائفة تنسب إلى ساسان أحد أبناء فارس، يقال: إن أباه حرمه من الملك، فهام على وجهه محترفا الكدية، وقد صورت المقامات حياة هؤلاء الأدباء الذين كانت لهم مكانة أدبية في ذلك العصر، وهذا يعني أن بديع الزمان قد ابتكر فن المقامة في إطار هذه المؤثرات⁽²⁾.

- المقامة عند بديع الزمان الهمذاني(398هـ):

المقامة كتابة يغلب عليها السجع وحوشي الألفاظ وغريبها، إضافة إلى غناها بالصور البيانية والمحسنات البديعية، والهدف الرئيسي من تأليفها هو تعليم الناشئة غريب اللغة وفنون القول، إضافة إلى كونها وسيلة ناجعة من وسائل النقد الاجتماعي، لمعالجة بعض الأمراض التي تفشت في عضد الدولة الإسلامية، وذلك في إطار من المغامرات الهزلية المضحكة⁽³⁾.

راوية المقامات عند الهمذاني هو عيسى بن هشام الذي يستهل المقامات بعبارة (حدثنا عيسى بن هشام) وهو رجل أسفار وترحال وتجارة واحتيال، يتحدث عن اغترابه ومصادفته لأبي الفتح الإسكندراني بطل هذه المقامات، وهو رجل علم وثقافة، يقول الشعر، ويسلك أوعر المسالك في اللغة والأدب والنقد، يحتال على دهره القاسي بشتى الطرق، فتارة

¹- سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص127.

²- المرجع السابق، ص229.

³- محمد التتويجي: المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص817.

يكون خطيباً، وتارة مشعوذاً، وقد حملته زمنه القاسي على هذا السلوك، فتصعلك وتسول وامتهن الكدية وتجول في مختلف البلدان وتقلب مع تقلبات الزمان⁽¹⁾.

تأخذ المقامة شكل القصة الفنية غالباً، وتقوم على السرد والوصف وتحليل الشخصيات، وهي تخلو من العقدة بالمعنى الفني، بل تقوم على الأزيمة التي تجد حلاً سريعاً، ومن ثم يغلب عليها الإمتاع والتشويق⁽²⁾. يستخدم الهمداني في مقاماته الشعر، إما يقتبسه أو ينشئه هو بحد ذاته، "شعره سهل واضح المعاني يخالف لغة نثر المقامات في أنه لا يسايرها في الألفاظ الغريبة التي كثرت في بعضها، ويتسم شعره أيضاً بالتصوير بما فيه من قدرة على الوصف وإبراز للحركة. ويعتمد على الأوزان الخفيفة والمجزوءة، وذلك حتى تناسب جو الفكاهة ويسهل على الأذن استماعها وأغلب شعره مقطوعات قصيرة"⁽³⁾.

المقامة عند الحريري (ت516هـ):

صرح الحريري القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أنه كتب مقاماته معارضة لمقامات بديع الزمان الهمداني الذي كتب أكثر من أربع مئة مقامة، ولم يبق منها إلا اثنتان وخمسون مقامة. وقد كتب الحريري مقاماته سالكا فيها مسلك الهمداني، من حيث وجود شخصيتي الراوي الحارث ابن همام، والبطل أبو زيد السروجي.

وقد أملى الحريري مقاماته على لسان السروجي وهو من أهل الكدية الذين امتنوا التسول، وكانت وسيلته في ذلك فصاحة لسانه وسحر بيانه، وهو يظهر في كل المقامات، وغالباً ما تساعد زوجته وولده، وهما يشاكلانه في الخداع والخبث والفصاحة، أما الراوي الحارث بن همام فهو رحالة أبي النفس بعيد عن مسالك اللصوص، ولكنه يصاحب أبا زيد ويتعاون معه، لكنه يقلع عن الاحتيال ويتنسك ويتوب توبة نصوحاً، ويفارق راويته في

¹ - سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص130.

² - المرجع السابق، ص132.

³ - علي محمد السيد خليفة: الفكاهة في مقامات الهمداني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2010، ص134.

المقامة الأخيرة⁽¹⁾.

تتكون كل مقامة عند الحريري من مقدمة، عرض، خاتمة، أما المقدمة فتدور حول فكرة واحدة، ولكنها ترد في صيغ لغوية مختلفة، تتضمن فكرة المطاردة بين الراوي والبطل، يظهر البطل فجأة وفي أماكن متباعدة قد تكون في المشرق أو في المغرب، والراوي يتابعه ولا يمل، ويصحب ظهور البطل مظهر غريب يشد الانتباه ويشير التشويق، ويحدث الشيء نفسه مع الخاتمة، إذ يبقى القارئ دائماً مبهوراً.⁽²⁾ وتدور موضوعات مقامات الحريري حول الاحتيال بطرق شتى، فتارة تأخذ شكلاً دينياً وخلقياً كما في المقامة الصنعانية، وتارة شكلاً أدبياً وفكاهياً كما في المقامة القطيعية والواسطية، وتارة أخرى شكلاً مجونياً كما في المقامة الرحبية.

تحتوي هذه المقامات على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وعر البيان ودرره، ومُحّ الأدب ونوادره، فضلاً عن الأبيات والأمثال والأحاجي واللطائف والخطب والرسائل والمواعظ⁽³⁾. ورغم أن الحريري قلد الهمذاني إلا أنه "تفوق عليه، فخطأ بهذا الجنس الأدبي خطوات لم يبلغ فيها شأوه أحد من الذين قلده، قبل عصرنا الحديث"⁽⁴⁾.

المضمون الاجتماعي والأخلاقي في المقامات:

من المعلوم أن الأدب ظاهرة اجتماعية، بحكم طبيعة الإنسان الذي يبده ويتعامل معه، وأن ثمة علاقة وثيقة بين الأدب والمجتمع، وهي علاقة تتسم بأنها تبادلية، بمعنى أنه لا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، وإنما يرفد كل منهما الآخر ويغذيه؛ ذلك أن للأدب انعكاسات اجتماعية عديدة، وهو في حد ذاته يعد انعكاساً اجتماعياً حتى في أكثر موضوعاته خصوصية، فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطاً لغوياً، حتى اللغة تفسر

¹- ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص 251.

²- ينظر: إبراهيم عبد الحميد: الأدب المقارن من منظور الأدب العربي، دار الشرق، لبنان، دط، ص 35.

³- ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص 253.

⁴- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1983، ص 226.

من منظور اجتماعي قبل أن تفسر من منظور آخر.

ولا يخفى أن الأدب يمنح المجتمع ويطوره وينميه، ويحاول أن يدفع به إلى الأمام، والمجتمع يهيئ الجو والبواعث للأديب، ويوفر له مادة الإبداع الخام، فالأديب يأخذ تجاربه من المجتمع متأثراً به، وفي الوقت ذاته يفرغ هذه التجارب في المجتمع، ويؤثر فيه؛ لأنه يعيد صنع هذه الصورة الاجتماعية بالشكل والوجه الذي يريد.

والمقامة بوصفها أحد الفنون الأدبية النثرية تشكل رصيذاً حقيقياً للحياة الاجتماعية بكل أبعادها وأشكالها، وترجمة أمينة لتصورات الناس في الحياة، وتصرفاتهم والعلاقات التي تنظم شؤونهم، فقد أعطت فكرة عن طبيعة الأوضاع الاجتماعية المختلفة، وما كان يسود المجتمع من ألوان المحن، وما تخلفه تلك الأزمات من أصداء وآثار في نفوس الناس.

خلاصة:

ظهر فن المقامات في العصر العباسي نتيجة لتطور الكتابة الفنية المهمة بالأدب الساخر والتفكه، والمقامة هي حكاية نثرية لا تخلو أيضاً من أبيات الشعر، وتحمل بداخلها موعظة أو نقد أو مدح أو ذم وغيرها من المواضيع النثرية المعروفة، وقد ظهر هذا الفن وازدهر في العصر العباسي، وتطور وانتقل لبلاد الأندلس وبلاد فارس، وتمت ترجمته أيضاً لبعض اللغات الأوروبية، إلا أن العهد الذهبي للمقامات كان في فترة العصر العباسي، مع وجود بديع الزمان الهمذاني وأبو القاسم الحريري.

المحاضرة الثالثة عشرة: فن التوقيعات في الأدب العباسي.

مخطط المحاضرة:
1-التوقيع: المصطلح والمفهوم.
2-نشأة فن التوقيعات عبر العصور.
3-أنواع التوقيعات.
4-الخصائص الفنية للتوقيعات.
5-خلاصة.

1-التوقيع المصطلح والمفهوم:

للتوقيع عدة معان في المعاجم اللغوية العربية فقد جاء في لسان العرب: "وَقَعَ ضَنْهُ عَلَى الشَّيْءِ قَدْرَهُ وَتَوَهُمَهُ، وَالتَّوَقُّعُ: الْإِصَابَةُ، وَتَنْتَظِرُ الْأَمْرَ، وَتَوَهُمُ الشَّيْءَ، وَمِنْ مَعَانِيهِ التَّأْثِيرُ، يُقَالُ: جَنِبَ هَذِهِ النَّاقَةُ مَوْقِعَ أَيِّ فِيهِ تَأْثِيرٌ خَفِيفٌ مِنَ الْحَبَالِ الَّتِي تَشُدُّ عَلَيْهَا"⁽¹⁾.

وفي معجم أساس البلاغة "وَقَعَ الشَّيْءُ عَلَى الْأَرْضِ وَفُوعًا وَأَوْقَعْتُهُ إِيقَاعًا. وَوَقَعَ الطَّائِرُ عَلَى الشَّجَرَةِ، وَتَوَقَّعْتُهُ تَرَقَّبْتُ وَقُوعَهُ. وَوَقَعَ الرِّبِيعُ فِي الْأَرْضِ. وَانْتَجَعُوا مَوَاقِعَ الْغَيْثِ وَمَسَاقِطَهُ وَأَصْفَى مِنْ مَاءِ الْوَقِيعَةِ وَالْوَقَاعُ وَهِيَ الْمَنَاقِعُ... وَوَقَعَ الْأَمْرُ: حَصَلَ وَوَجَدَ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِي السَّفَرُ. وَفُلَانٌ يَسِفُ وَلَا يَقَعُ إِذَا دَنَى مِنَ الْأَمْرِ ثُمَّ لَا يَفْعَلُهُ"⁽²⁾. وفي القاموس المحيط: "وَقَعَ يَقَعُ بَفَتْحِهِمَا وَقُوعًا: سَقَطَ، وَالْقَوْلُ عَلَيْهِمْ وَجِبَ، وَالْحَقُّ ثَبَتَ، وَالْإِبْلُ بَرَكْتَ وَالِدَوَابُّ رِبَضَتْ وَرَبِيعٌ بِالْأَرْضِ حَصَلَ، وَلَا يُقَالُ سَقَطَ وَالطَّيْرُ إِذَا كَانَتْ عَلَى شَجَرٍ أَوْ

¹-ابن منظور: لسان العرب، مادة(و.ق.ع)

²-الزمخشري: أساس البلاغة، مادة(و.ق.ع)

أرض فهن وُقُوعٌ ووَقْعٌ، والوَقْعُ وَقْعَةٌ الضرب بالشيء والمكان المرتفع من الجبل⁽¹⁾.

وفي الاستعمال الأدبي: التوقيعات عبارات موجزة كان يكتبها الخليفة أو الوالي أو عماله في أسفل الشكاوى، أو المطالب والحاجات التي كانت ترفع إليهم بما يتضمن الرأي فيها، كأن يكتب إلى الوزير في غرض ما، فيكتب الرئيس عنه بما يفيد وجوب الفحص أو قضاء المأرب، وقد ظهرت التوقيعات في عهد الخلفاء الراشدين، وازدهرت في عهد بني أمية وفي بني العباس.

وهي ما "يلقه الخليفة أو الأمير أو الوزير أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب، في شكوى حال أو طلب نوال، ميزتها الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة. وقد تكون آية، أو مثلاً أو بيت شعر"⁽²⁾. وبعبارة أدق هي تلك الأقوال البليغة الموجزة التي يكتبها المسؤول في الدولة، أو يأمر بكتابتها على ما يرفع إليه من قضايا وشكاوي، متضمنة ما ينبغي اتخاذه من إجراء نحو كل قضية أو مشكلة، ويكون التوقيع عادة في أسفل الرسالة، وفي بعض الأحيان خلفها أو في أعلاها، بمداد مغاير للون الكتاب أو الرسالة، جواباً على ما يكتبه رعايا الدولة، فيما يحزنهم من خطوب، وما يعرفهم من مظالم. ويكون الرد أمراً أو نهياً ترغيباً أو ترهيباً⁽³⁾.

-نشأة فن التوقيعات:

1-في عصر صدر الإسلام:

إذا تتبعنا نشأة هذا الفن سنجد بأن القضية فيها رأيان؛ رأي يقر بعربية التوقيعات، ورأي آخر يرى أن العرب قد أخذوها عن غيرهم من الأمم وخاصة الفرس، يقول شوقي ضيف: "إن التوقيعات عبارات بليغة موجزة تعود إلى ملوك الفرس ووزرائهم كانوا يوقعون بها على ما يقدم إليهم من تظلمات في الرعية وشكواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس

¹-الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (و.ق.ع) .

²-أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص 219، 220.

³-ينظر: هاشم صالح مناع: من روائع الأدب العربي، دار الوسام، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص311.

ووزرائهم في هذا الصنيع"⁽¹⁾. ولعل الرأي الأول أرجح، ذلك أن التوقيعات عرفت أول ما عرفت في عهد الخلفاء الراشدين-رضي الله عنهم-ويروى عن الخليفة الراشد أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-أنه أول من استعمل فن التوقيعات في تاريخ الأدب العربي، غير أن التوقيعات التي أثرت عنه، وصلت إلينا قليلة، ولا نستطيع أن نبني عليها حكماً أدبياً⁽²⁾. وفي رواية أخرى قيل، إن أول توقيع عرف في الأدب العربي كان لعمر بن الخطاب-رضي الله عنه-حين كتب إليه سعد بن أبي وقاص يستأذنه في بناء، فوقع له عمر بن الخطاب: "ابن ما يستر من الشمس ويكن من المطر"⁽³⁾.

2- في العصر الأموي:

بعد أن عرفت التوقيعات واستعملت في عصر صدر الإسلام، غدت فناً أدبياً مارسه كل خلفاء بني أمية، وبعض الأمراء الولاة والقواد، وقد وصلت إلينا نماذج كافية من هذا العصر سنورد بعضها منها:

أ- يروى عن معاوية بن أبي سفيان أنه وقع في كتاب ربيعة بن سهل اليربوعي حين سألته أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثني عشر ألف جذع من النخل، فكتب له: "أدارك في البصرة أم البصرة في دارك؟".

ب-وقع عبد الملك بن مروان في كتاب أتاها من الحجاج يشكو إليه نفرا من بني هاشم ويغريه بهم: "جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الطلب".

ج-وقع الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز: "رأب الله بك الداء وأودم بك السقاء"⁽⁴⁾.

فقد أصبحت التوقيعات في العصر الأموي ضرورة لشيوع الكتابة والخط، ولحاجة الأمراء والخلفاء إليها لتسيير الحكم، والنماذج السابقة توحى بازدهار هذا الفن.

¹-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص489.

²-ينظر: هاشم صالح مناع: من روائع الأدب العربي، ص311.

³- محمد خفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص321.

⁴-ينظر: هاشم صالح مناع: من روائع الأدب العربي، ص312.

3- في العصر العباسي:

توسع العرب في هذا الفن، وأضحى عندهم مهنة لها أربابها الذين يتنافس كل واحد منهم في إظهار مهارته ومقدرته البيانية، كما أصبح له ديوان خاص "راح الخلفاء والوزراء يتألقون في توقيعاتهم وإظهار قدرتهم الأدبية، حيث يذكر عن جعفر بن يحيى البرمكي صاحب الدواوين في عهد الرشيد أنه كان إذا وقع، نسخت توقيعاته وتدورست بلاغته"⁽¹⁾ وذكرت في الكتب توقيعات لأشهر خلفاء بني العباس أو وزرائهم، سنورد بعضا منها: من ذلك توقيع السفاح في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم: "من صبر في الشدة شارك في النعمة". وتوقيع المنصور على شكوى لأهل الكوفة من عاملهم: "كما تكونوا يؤمر عليكم". وتوقيع المهدي لشاعر مدحه لتكسب: "أسرفت في مديحك فقصرنا في حباك". وتوقيع الرشيد على رسالة لوالي خراسان: "داو جرحك لا يتسع"⁽²⁾. ومن أطرف ما يروى عن التوقيعات أنه: "كان جعفر بن يحيى البرمكي يوقع في القصص بين يدي الرشيد، ويرمي بالقصة إلى صاحبها. فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل إنه كانت تباع كل قصة بدينار"⁽³⁾. ومما روي عنه أيضا "أنه جلس للمظالم فوق على ألف قصة ونيف، ثم أخرجت فعرضت على العمال والقضاة والكتاب وكتاب الدواوين، فما وجد فيها شيء مكرر، ولا شيئا يخالف الحق. ومن توقيعاته أيضا توقيع لمحبوس متظلم من حبسه: "العدل أوقعه والتوبة تطلقه"⁽⁴⁾. وكذلك توقيع على كتاب لعلي ابن عيسى بن مامان يتضمن اعتذارا عن أشياء بلغته: "حبب إلينا الوفاء الذي أبغضته، وبغض الغدر الذي

¹- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 390.

²- المرجع نفسه، ص 390.

³- المرجع نفسه، ص 390.

⁴- محمد عبد المنعم الخفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص 322.

أحببته، فما جزاء الأيام أن تحسن ظنك بها، وقد رأيت غدارتها، ووقعاتها عيانا وإخبارا⁽¹⁾. لا شك أن هذه النماذج من التوقيعات تعطي صورة واضحة عن تطور هذا الفن الكتابي، ودقة استخدامه وتمرس الخلفاء ووزرائهم وأتباعهم به، بل إن إتقانهم له وتفننهم فيه وتباريهم. ولعل من دواعي ازدهار هذا الفن العوامل التالية:

- 1- شيوع الكتابة منذ العصر الإسلامي وبالضبط عصر الخلفاء الراشدين.
 - 2- انتشار الفتوحات الإسلامية
 - 3- اتساع الرقعة الإسلامية.
 - 4- حاجة الولاة إلى الردود السريعة على مكاتبتهم أو رسائلهم.
 - 5- كثرة الأعباء الملقة على كاهل الحكام، لتنوع إدارات وشؤون الدولة.
 - 6- مواقف بعض الحكام والولاة من الرعية، مما يدفع بهم إلى الكتابة المباشرة إلى من هو أعلى منهم، لعرض حاجاتهم.
 - 7- ظهور العديد من الكتاب في بلاط الخلفاء، ومقدرتهم على التألق في حياتهم الأدبية.
- أنواع التوقيعات:**

أ- آية قرآنية: تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب، أو اشتملت عليه القضية، ويروى أن السفاح كتب في شكوى تظلم من أحد عماله فوق: {وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذًا الْمُضِلِّينَ عَصَدًا} (سورة الرعد، الآية 51). وكتب صاحب أرمينية رسالة إلى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه، فوقع المهدي فيها بقوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (سورة الأعراف، الآية 199).

وكتب ملك الروم نقفور تهديدا لهارون الرشيد قائلا: (إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي، وكل بطل في جندي) فوقع الرشيد في كتابه بقوله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ} (سورة الرعد، الآية 42)⁽¹⁾.

¹ - ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 390.

ب-بيت شعر: ومن ذلك ما كتب ألفونس السادس ملك قشتالة إلى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في الأندلس يتوعده ويتهدهده. فوقع يوسف في كتابه ببيت لأبي الطيب المتنبي⁽²⁾:

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمم.

ج-المثل السائر: من ذلك ما وقع به علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلى طلحة بن عبيد الله: "في بيته يؤتى الحكم". وما وقع به يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وقد أخبر يزيد أنه يتلكأ في مبايعته بالخلافة فوقع: (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت) (3).

د-حكمة: كتوقيع أبو مسلم الخراساني إلى عامل بلخ: "لا تؤخر عمل اليوم لغد". أو كتوقيع الفضل ابن سهل إلى حاجبيه: "تمهل ولا تسهل" وإلى صاحب الشرطة: "ترفق توفق". وكتب غلمان جعفر بن يحيى البرمكي يطلبون زيادة رواتبهم، فطلب جعفر من عمرو بن مسعدة أن يوقع على طلبهم فوقع: "قليل دائم خير من كثير منقطع"⁽⁴⁾.

الخصائص الفنية للتوقيعات:

أ-بعضها يستقل بنفسه في أداء المعنى، مثل توقيع مسلم الخراساني إلى عامل بلخ. وبعضها الآخر لا يستقل بنفسه في أداء المعنى، أي إنه لا يفهم إلا في ضوء معرفة المناسبة التي قيل فيها، ومضمون الرسالة التي كتب عليها، فمن ذلك أن الضرابين في دار الضرب، رفعوا إلى صاحب إسماعيل بن عباد ظلامة لهم مترجمة بالضرابين، فوقع صاحب عند كلمة الضرابين: "في حديد بارد"، فهذا التوقيع لا يستقل بمعناه، ولا يمكن

¹-محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في الأدب العباسي، دار جرير، عمان، الأردن، ط2011، ص93، 94.

²-ينظر المرجع نفسه، ص87.

³-ينظر المرجع نفسه، ص95.

⁴-محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص322.

فهمه إلا مقترنا بالظلامة نفسها، أو بالمقدمة التي وردت قبله⁽¹⁾.

ب-تعتمد التوقيعات على الإيجاز في التعبير وهذا هو الأصل، فهذا النوع من الكلام أميل إلى الإيجاز والاختصار.

ج-نادرا ما يعمد الكاتب إلى الإطالة على نحو ما وقع لمحمد بن عبد الله بن طاهر على رسالة اعتذار، كان خط كاتبها رديئا، ونص التوقيع هو: "أردنا قبول عذرك فاقتطعنا عنه ما قبلناه من قبيح خطك ولو كنت صادقا في اعتذارك لساعدتك حركة اليد، أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه، بوضوح الحجة، ويمكن له درك البغية"⁽²⁾.

د-إن ضروب البديع تشكل ظاهرة ملحوظة في كثير من التوقيعات وبخاصة الجناس والسجع، والتوقيع سجع خالص، فليس هناك وزير ولا كاتب في الدواوين إلا وهو يتأنق في كتابته ويبالغ في تأنقه، حتى يجعل كتابته سجعا خالصا، نذكر توقيع وزير المقتدر الثالث الخاقاني، وقد كان شغوفا بالسجع شغفا شديدا، فرفع في رسالة ذات يوم وجه بها إلى بعض عماله: "إلزم وفقك الله المنهاج، واحذر عواقب الاعوجاج، واحمل ما أمكن من الدجاج إن شاء الله"، وكان أن حمل العامل إليه دجاجا كثيرا، فقال: هذا الدجاج وفرته بركة السجع⁽³⁾.

خلاصة:

التوقيعات فن أدبي بليغ من فنون النثر العربي عماده البلاغة والإيجاز وحضور البديهة، وقوة البيان وكثافة الدلالة، وهو عبارة موجزة بليغة مسجوعة، يكتبها الخليفة أو الوزير أو الأمير، ردا على ما يصل إليهم من رسائل تتضمن مختلف القضايا، وقد كانت

¹-ينظر: محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في العصر العباسي، ص96.

²-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص558.

³-المرجع نفسه، ص558.

توقيعاتهم آية قرآنية، أو حديثا نبويا شريفا، أو مثالا، أو بيتا شعريا، أو إبداعا شخصيا ذاتيا قوامه الوجازة، والسجع، وسرعة البديهة.

خاتمة:

الأدب العباسي أدب غزير المادة ثرّ الموضوعات ممتد في فترة زمنية طويلة، والمحاضرات البيداغوية المقررة لا تكفي لعرض مادته ونصوصه، بل تكتفي بإدراج بعض الموضوعات والقضايا من الأدب العباسي بقسميه الشعر والنثر.

-تطرقت مفردات الأدب العباسي في هذه المرحلة إلى موضوعات متنوعة وقضايا مختلفة تعكس جوانب من الحياة العربية في العصر العباسي، وشكلت حمولة معرفية، وقيمة تاريخية لأيام وأحداث العرب في هذا العصر.

-أثرت الروافد الأجنبية في حركة الشعر، وساعدت على بروز مظاهر الإبداع في شكل القصيدة العباسية.

-شاع شعر الزهد وشعر التصوف في العصر العباسي وشكلا مظهرا من مظاهر الحياة العربية، وهو يمثل الشعر الملتزم الإصلاحية في مقابل تيار اللهو والمجون الذي ذاع صيته في هذا العصر.

-كان من نتائج الاحتكاك العربي بغيره من الأمم وآثار الثقافت الذي شهدها المجتمع العربي في العصر العباسي ظهور شعر الحكمة والفلسفة، فكان لهذا الشعر أعلام كالمعتبي والمعري وغيرهم من الذين اتسم شعرهم بالجدل، والنظرة التأملية في الكون والحياة والإنسان، وظهرت الكتابة الفنية وتطورها بأقلام أعلام النثر الفني كابن المقفع وابن العميد والجاحظ وسهل بن هرون، وبديع الزمان الهمداني والحريري وغيرهم.

هذه مجموعة من المحاضرات التي تختصر زمن الأدب العباسي، وهي في الحقيقة دروس مختصرة لأننا لا نستطيع -مهما اجتهدنا- أن نقدم هذا الثر الغزير من موضوعات

وقضايا الشعر العباسي واتجاهاته، ومن أجناسه النثرية المتنوعة في هذه الصفحات
المعدودات. فإن أصبت فمن الله تعالى وحده، وإن جانببت الصواب فحسبي أنني اجتهدت
وبالله التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع.

المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- 1-الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد: الأغاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2004.
- 2-البحثري أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى: الحماسة، تحقيق محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، المجمع الثقافي أبو ظبي، أبو ظبي، الإمارات العربية، 2007.
- 3-البغدادي أبوبكر: تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 4-الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ، دط، دت.
- 5-الزوزني عبد الله الحسن بن أحمد: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، دط، 2007.
- 6-ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
- المسعودي أبو الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط5، 1982.
- 7-ابن المعتز: طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
- 8-المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق فريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 9- ابن النديم محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، د.ط، د.ت.
- 10-النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة، دط، دت.
- 11-ابن قتيبة أبو محمد: أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- 12-ابن القيم الجوزية أبو عبد اله شمس الدين: مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1339هـ.
- 13-ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2001.

14-الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

15-الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

المعاجم اللغوية:

1-إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980.

2-الفيروز آبادي مجد الدين محمد: القاموس المحيط، دار نوبلس، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

3-الفرايدي خليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق محمد المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

4-ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2003.

5-مرتضى الزبيدي: تاج العروس ، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2017.

الدواوين:

1-امرؤ القيس: الديوان، ضبط مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2004.

2-بشار بن برد: الديوان، شرح وتقديم محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، مصر، دط، 1966.

3-المتنبي: الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، دط، 1936.

4-المعري: اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

5-المتنبي: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1983.

6-أبو نواس: الديوان، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

7-أبو نواس: الديوان، تحقيق محمد أنيس مهراث، دار مهراث للعلوم، حمص، سورية، ط1، 2009.

8-أبو العتاهية: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1986 .

9-أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دار الملاح، دمشق، سوريا، دط، دت.

10-ابن عربي: الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ، ط1، 1996.

11- ابن عربي: ديوان ترجمان الأشواق، عناية عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

12- ابن الفارض: الديوان، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2008.

13- ابن الرومي: الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002.

المراجع:

1- أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2001.

2- أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1997.

3- أحمد زغلول سلام: دراسات في الأدب العربي العصر العباسي، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، دط، 1993.

4- أحمد إبراهيم هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام السياسي والحضاري، منشورات جامعة حلب، سوريا، دط، 2004.

5- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، دت .

6- أحمد أمين: فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، مصر، دط، 2012.

7- أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط13، 1980.

8- إحسان النص: الخطابة العربية في عصرها الذهبي دار المعارف، القاهرة، دط، 1963.

9- إبراهيم عبد الحميد: الأدب المقارن من منظور الأدب العربي، دار الشرق، لبنان، دط، دت.

10- بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2014.

11- بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقل عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1996.

12- هاشم مناع ومأمون ياسين: النثر في العصر العباسي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

13- هاشم صالح مناع: من روائع الأدب العربي، دار الوسام، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

14- زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط، 2012.

- 15-حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط7، 1964.
- 16-حامد حنفي أبو داود: الآداب الإقليمية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط2، 1981.
- 17-طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، دت.
- 18-طه حسين: الأعمال الكاملة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1974.
- 19-يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد، دار غريب، القاهرة، مصر، دط، دت.
- 20-يوسف خليف: تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، دط، دت.
- 21-محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت، دط، 1990.
- 22-محمد عبده: رسالة التوحيد، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، دط، 1979.
- 23-محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا للشرق الأوسط، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2010.
- 24-محمد حجاب: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، دط، دت.
- 25-محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1971.
- 26-محمد التتويجي: المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
- 27-محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن: دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1983.
- 28-محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
- 29-محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في الأدب العباسي، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2011.
- 30-مصطفى الشكعة: رحلة الشعر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1997.
- 31-مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1986.
- 32-مصطفى أمين الرفاعي: المتنبي وشوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 2002.

- 33-مارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
- 34-مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
- 35-منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، دت.
- 36-ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة، الموصل، العراق، دط، 1989.
- 37-سمير مصطفى فراج: شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ط1، 1997.
- 38-سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
- 39-سلامة أبو السعود: الأدب العربي في مختلف العصور، دار العلم والإيمان، دط، 2007.
- 40-سعد إسماعيل شلبي: الشعر العباسي التيار الشعبي، دار غريب، القاهرة، دط، دت.
- 41-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981 .
- 42-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981.
- 43-عمر عروة: الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010 .
- 44-عمر الدقاق: مواكب الأدب العربي عبر العصور، دار طلاس، دمشق، سورية، ط1، 1988.
- 45-عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت.
- 46-عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت.
- 47-عبد المعين الملوحي: أشعار اللصوص وأخبارهم، منشورات دار أسامة، عمان، الأردن، دط، دت.

48- عبد الله التطاوي: حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1992.

49- عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1962.

50- علي محمد السيد خليفة: الفكاهة في مقامات الهمذاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2010.

51- عز الدين إسماعيل: الشعر العباسي الرؤية والفن، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 1994.

52- عاطف جودت نصر: شعر عمر بن الفارض دراسة في الفن الصوفي، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ط1، 1981.

53- عاطف جودت نصر عاطف: الرمز الصوفي عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، دت.

54- رضا العطار: مقتطفات من الحياة الأدبية والاجتماعية في العصر العباسي، القاهرة، مصر، ط8، 1981.

55- الربيعي بن سلامة: تطور البناء الفني في القصيدة العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2006.

56- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، 2004.

57- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1983.

58- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط12، دت.

دوريات ورسائل علمية:

1- محمد علي أبو الحسن: سلطان العاشقين ابن الفارض وخصائصه الشعرية إضاءات نقدية، مجلة فصلية، جامعة دهاقان، العدد3، 2011.

2- عبد المحسن علي وهبة: الزهد عند الصوفية بين الاعتدال والغلو، المجلة العلمية بأسيوط، كلية اللغة العربية، العدد 33، ج1، 2014.

3- النزعة الفلسفية في الشعر العباسي العصر الثاني رسالة دكتوراه، إشراف محمد عباس، إعداد بوزيزة علي، جامعة تلمسان، 2013.

فهرس الموضوعات.

1.....	مقدمة:
04.....	1-مقدمات حول الحياة العامة في العصر العباسي
15.....	2-الشعر في العصر العباسي
22.....	3-أثر الروافد الأجنبية على حركة الشعر العباسي
30.....	4- الشعر العباسي ومظاهر التجديد والإبداع
39.....	5-شعر مخضرمي الدولتين
48.....	6-سمات المجتمع العباسي وأثرها على الشعر
56.....	7-شعر الزهد وشعر التصوف في العصر العباسي
69.....	8-الشعر الفلسفي وشعر الحكمة
83.....	9-النثر في العصر العباسي
94.....	10-مذاهب النثر في العصر العباسي
100.....	11-من أعلام النثرين والكتاب في العصر العباسي
119.....	12-فنّ المقامات في العصر العباسي
125.....	13-فنّ التوقيعات في الأدب العباسي
134.....	خاتمة:
135.....	قائمة المصادر والمراجع:
142.....	فهرس الموضوعات:

